الجمهورية التركية
جامعة ماردين ارتقلو
معهد الدراسات العليا
قسم دراسات القدس وفلسطين

رسالة ماجستير

أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي

(567-684هـ / 1171-1250م)

عمار الشهاب

إشراف: الدكتور رشيد شيخو

ماردين 2025

الجمهورية التركية
جامعة ماردين ارتقلو
معهد الدراسات العليا
قسم دراسات القدس وفلسطين

رسالة ماجستير

أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي

(567-684هـ / 1171-1250م)

عمار الشهاب

إشراف: الدكتور رشيد شيخو

ماردين 2025

T.C.
MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEZ ONAYI

Enstitümüz **Kudüs ve Filistin Çalışmaları** Anabilim Dalı **22904021** numaralı öğrencisi **Ammar ALSHEHAB** "ın hazırladığı **Eyyubî Döneminde Kudüs'teki Dini Azınlıkların Durumu**" başlıklı çalışma, **27/06/2025** tarihinde yapılan tez savunma sınavında oybirliği ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından yüksek lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

Jüri	**Unvanı, Adı SOYADI**	**İmza**
Başkan	Dr. Öğr. Üy. RACHID CHIKHOU (Danışman)	
Üye	Dr. Öğr. Üyesi NERJES KADRO	
Üye	Dr. Öğr. Üyesi Mohamad Amin Mustafa	
Üye		
Üye		

ONAY:
Bu tezin kabulü, Enstitü Yönetim Kurulu'nun **27/06/2025** tarih ve ……/…… sayılı kararı ile onaylanmıştır.

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد في هذه الأطروحة التي أعددتها أنها متوافقة مع قواعد كتابة الأطروحة لمعهد التعليم العالي بجامعة ماردين أرتقلو والمتمثلة بما يأتي:

- كافة المعلومات الموجودة في الرسالة، حصلت عليها في إطار السلوك الأخلاقي والقواعد الأكاديمية.
- عملت وفقاً للأخلاق العلمية والقواعد الأخلاقية في جميع مراحل عمل الأطروحة، بما في ذلك الإعداد والمعلومات والوثائق، وجمع البيانات، وتحليل، وعرض المعلومات.
- عدت إلى جميع المصادر المستخدمة في الأطروحة دون نقص وتضمنت قائمة المصادر / الببليوغرافيا في جميع المصادر المستخدمة.
- عمل الأطروحة أصلي.
- تم مسح هذه الأطروحة من خلال برنامج الكشف عن الانتحال العلمي" التي تستخدمها جامعة ماردين أرتقلو وأنها لا تحتوي على انتحال سرقة أدبية" بأي شكل من الأشكال، وفي حالة حدوث عكس ما بينته أقر بأنني أقبل جميع التبعات القانونية.

التوقيع

عمار الشهاب

2025/6/27

الإهداء

بكل حب وامتنان، أهدي هذه الدراسة:

إلى من أنار دروب الإنسانية، وبثّ في القلوب نور الهداية، المعلّم الأول، والهادي إلى سواء السبيل، سيدنا ونبينا محمد ﷺ، صلوات ربي وسلامه عليه.

إلى روح والدي الغالي، الذي غرس في قلبي معنى الكفاح، وأسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته.

إلى والدتي الحبيبة، نبع الحنان، وسندي في الحياة، أطال الله في عمرها وأحاطها بموفور الصحة والعافية.

إلى من كانوا لي عونًا وسندًا في مسيرتي العلمية، من أهلي وأصدقائي الأوفياء.

إلى أزهار حياتي في كل الظروف، إخوتي وأخواتي الأعزاء، مصدر فخري واعتزازي، أدامهم الله ذخراً لي.

إلى زملائي الأعزاء، رفاق الدرب في ميادين العمل، الذين شاركوني الجهد والدعم.

إلى كل من مدّ لي يد العون، وشدّ على يدي بكلمة طيبة أو فعل كريم في طريق هذا الإنجاز.

إلى هؤلاء جميعًا، أهدي ثمرة هذا الجهد، راجيًا من المولى عز وجل أن يجعلها نافذة علم، وبوابة معرفة، وأن يكتب لها القَبول والنفع، لي ولهم وللناس أجمعين.

المقدمة

قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (لقمان: 12)

وقال رسول الله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السماوات والأرض، على ما تفضل به عليّ من عون وتيسير لإتمام هذه الدراسة، التي أسأل الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها.

وفي هذا المقام، يسعدني ويشرفني أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي الكريم، الدكتور الفاضل رشيد شيخو، الذي كان لفضله – بعد الله – أثر بالغ في إنجاز هذا العمل العلمي، فقد كان نعم الموجّه والمرشد، ونبراسًا يضيء دروب البحث والمعرفة.

أشكر لكم سعة صدركم، وحرصكم على متابعة خطواتي البحثية بدقة وصبر، وقراءتكم المتأنية لمحتوى الرسالة، وملاحظاتكم الغنية التي أسهمت في صقل العمل ورفعه إلى مستوى أعلى من الجودة والاتقان.

لقد كانت كلماتكم المشجعة، ونصائحكم الصادقة، ومواقفكم النبيلة، سنداً قوياً لي في مواجهة التحديات، وباعثاً للأمل والعزيمة في نفسي كلما شعرت بالتعب أو التردد.

أسأل الله تعالى أن يجزيكم عني خير الجزاء، وأن يبارك في علمكم وعملكم، وأن يجعل جهودكم في ميزان حسناتكم، ويكتب لكم بها الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

وأسأله جلّ وعلا أن يواصل توفيقه لي في مسيرتي العلمية والعملية، وأن أكون عند حسن ظنكم دائماً.

الملخص

قسم دراسات القدس وفلسطين

أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي

(567-684هـ / 1171-1250م)

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية تحليلية لأوضاع الأقليات الدينية في مدينة القدس خلال العصر الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م)، وهي الفترة التي أعقبت تحرير المدينة المقدسة من الاحتلال الصليبي على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي. يسعى البحث إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية من المسيحيين واليهود في القدس، وكيفية تعامل الدولة الأيوبية مع هذه الأقليات من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

يستند البحث إلى مصادر تاريخية أصلية ومراجع أكاديمية موثوقة لدراسة التحولات التي طرأت على أوضاع الأقليات الدينية بعد انتهاء الحكم الصليبي للمدينة، والذي اتسم بالتعصب والاضطهاد، خاصة تجاه اليهود الذين تعرضوا للقتل والتهجير. ويبرز البحث كيف أعاد صلاح الدين الأيوبي تنظيم الحياة في القدس وفق رؤية إسلامية تستند إلى مبادئ التسامح الديني، حيث سمح للمسيحيين بالاحتفاظ بكنائسهم وممارسة شعائرهم الدينية، كما رفع الحظر عن سكنى اليهود في المدينة وسمح لهم بالعودة إليها بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك خلال فترة الاحتلال الصليبي.

كما يتناول البحث السياسات التي اتبعها خلفاء صلاح الدين من الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية، والتغيرات التي طرأت على هذه السياسات خلال فترة الحكم الأيوبي للقدس، مع تحليل أثر هذه السياسات على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأقليات الدينية. ويدرس البحث أيضاً الأوضاع القانونية للأقليات الدينية في ظل نظام أهل الذمة، وكيفية تطبيق الشروط العمرية في العصر الأيوبي، والامتيازات والقيود التي فرضت عليهم.

يهدف البحث إلى تقديم صورة متكاملة ودقيقة عن أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، بعيداً عن التحيزات الأيديولوجية أو التفسيرات غير الموضوعية، وذلك من

خلال الاعتماد على المصادر التاريخية الأصلية والمراجع العلمية المعتمدة. كما يسعى البحث إلى المساهمة في فهم أعمق للتاريخ الديني والاجتماعي لمدينة القدس، وإبراز نموذج التعايش الديني الذي ساد في المدينة خلال فترات من تاريخها الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الأقليات الدينية، مدينة القدس، العصر الأيوبي، الاحتلال الصليبي، صلاح الدين الأيوبي.

ÖZET

Kudüs ve Filistin Çalışmaları Bölümü
Eyyubî Döneminde Kudüs'teki Dini Azınlıkların Durumu
583-648/ 1187-1250)(

Bu çalışma, Eyyubîler döneminde (583–648 H / 1187–1250 M) Kudüs şehrindeki dini azınlıkların durumunu tarihsel ve analitik bir yaklaşımla incelemektedir. Araştırma, özellikle Selahaddin Eyyubî'nin Haçlı işgalinden Kudüs'ü kurtarmasından sonra başlayan döneme odaklanmaktadır. Çalışmanın amacı, Müslümanlarla Hristiyan ve Yahudi azınlıklar arasındaki ilişkilerin niteliğini ve Eyyubî devletinin bu azınlıklara siyasi, sosyal, ekonomik ve dini açıdan nasıl yaklaştığını ortaya koymaktır.

Bu bağlamda araştırma, özgün tarihî kaynaklara ve güvenilir akademik referanslara dayanarak, Haçlı yönetiminin sona ermesiyle dini azınlıkların durumunda meydana gelen değişimleri incelemektedir. Haçlı dönemi özellikle Yahudilere yönelik katliam ve zorunlu göçlerle anılan, hoşgörüsüz ve baskıcı bir dönemdi. Araştırma, Selahaddin Eyyubî'nin, Kudüs'teki yaşamı İslami hoşgörü ilkelerine dayalı olarak nasıl yeniden düzenlediğini ortaya koymaktadır. Selahaddin, Hristiyanların kiliselerini muhafaza etmelerine ve dini ibadetlerini yerine getirmelerine izin vermiş, Yahudilere ise Haçlı dönemi boyunca yasaklanan Kudüs'e geri dönme izni vermiştir.

Araştırma ayrıca Selahaddin'den sonraki Eyyubî haleflerinin dini azınlıklara yönelik izlediği politikaları ve bu politikaların zaman içindeki değişimini incelemekte; söz konusu politikaların azınlıkların sosyal, ekonomik ve kültürel yaşamına etkilerini analiz etmektedir. Çalışma, Eyyubî döneminde "ehl-i zimmet" sistemi çerçevesinde dini azınlıkların hukuki statüsünü, Ömerî şartların uygulanış biçimini ve bu azınlıklara tanınan imtiyazlar ile getirilen kısıtlamaları da değerlendirmektedir.

Araştırmanın amacı, ideolojik önyargılardan veya taraflı yorumlardan uzak, Eyyubî döneminde Kudüs'teki dini azınlıkların durumuna dair bütüncül ve doğru bir tablo sunmaktır. Bu doğrultuda, araştırma özgün tarihî kaynaklar ve güvenilir bilimsel literatüre dayanmakta; Kudüs'ün dini ve sosyal tarihinin daha derinlemesine anlaşılmasına katkı sunmayı ve İslamî tarih boyunca şehirde zaman hüküm süren dinî birlikte yaşama modelini öne çıkarmayı hedeflemektedir.

Anahtar Kelimeler: Dini Azınlıklar, Kudüs Şehri, Eyyubî Dönemi, Haçlı İşgali, Selahaddin Eyyubî

ABSTRACT

Department of Jerusalem and Palestine Studies

The Status of Religious Minorities in Jerusalem During the Ayyubid Period

(583-648/ 1187-1250)

This study presents a historical and analytical examination of the conditions of religious minorities in the city of Jerusalem during the Ayyubid period (583–648 AH / 1187–1250 CE). This era followed the liberation of the Holy City from Crusader occupation by Sultan Salah al-Din al-Ayyubi. The research seeks to shed light on the nature of relationships between Muslims and religious minorities, namely Christians and Jews, and to explore how the Ayyubid state dealt with these minorities on political, social, economic, and religious levels.

The study is based on original historical sources and reliable academic references to analyze the transformations that occurred in the conditions of religious minorities after the end of Crusader rule, which was marked by fanaticism and persecution—particularly against Jews, who were subjected to killings and forced displacement. The research highlights how Salah al-Din reorganized life in Jerusalem based on an Islamic vision rooted in the principles of religious tolerance. He allowed Christians to retain their churches and practice their religious rituals, and he lifted the ban on Jewish residence in the city, permitting them to return after being prohibited during the Crusader occupation.

Furthermore, the study examines the policies adopted by Salah al-Din's Ayyubid successors toward religious minorities and the changes these policies underwent throughout the Ayyubid rule of Jerusalem. It analyzes the impact of these policies on the social, economic, and cultural life of the minorities. The research also explores the legal status of religious minorities under the system of Ahl al-Dhimma, the application of the Pact of Umar during the Ayyubid era, and the privileges and restrictions imposed on these communities.

The objective of the study is to present a comprehensive and accurate picture of the status of religious minorities in Jerusalem during the Ayyubid period, free from ideological bias or unobjective interpretations. By relying on primary historical sources and established scholarly works, the research aims to contribute to a deeper understanding of Jerusalem's religious and social history and to highlight the model of interreligious coexistence that prevailed in the city during certain periods of its Islamic history.

Keywords: Religious Minorities, City of Jerusalem, Ayyubid Period, Crusader Occupation, Salah Al-Din Al-Ayyubi.

المحتويات

المقدمة..... vi

الملخص..... vii

ÖZET..... ix

ABSTRACT..... x

المحتويات xi

جدول المختصرات xv

المدخل 1

الفصل الأول..... 7

الخلفية التاريخية والسياسية للقدس في العصر الأيوبي 7

1.1. القدس قبل العصر الأيوبي..... 8

1.1.1. القدس في العصر الإسلامي المبكر (الفتح الإسلامي حتى الغزو الصليبي) 8

2.1.1. القدس تحت الاحتلال الصليبي (492–583هـ/1099–1187م)..... 17

3.1.1. أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال فترة الاحتلال الصليبي 21

2.1. التطورات السياسية في القدس خلال العصر الأيوبي..... 24

1.2.1. القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي (583–589هـ/1187–1193م) 24

2.2.1. القدس في عهد خلفاء صلاح الدين (589–626هـ/1193–1229م)..... 27

3.2.1. تسليم القدس للصليبيين بموجب معاهدة يافا (626هـ/1229م) وتداعياتها 30

الفصل الثاني 34

التسامح الديني والعلاقات بين الأديان في القدس خلال العصر الأيوبي..... 34

1.2. نظام أهل الذمة وتطبيقاته في العصر الأيوبي..... 34

1.1.2. مفهوم أهل الذمة في الفقه الإسلامي 34
2.1.2 الشروط العمرية وتطبيقاتها في العصر الأيوبي..... 35
3.1.2. الجزية والضرائب المفروضة على أهل الذمة في القدس 37
2.2. الحرية الدينية للأقليات في القدس..... 38
1.2.2. سياسة التسامح الديني في العصر الأيوبي 38
2.2.2. حقوق الأقليات الدينية وواجباتهم..... 41
3.2.2. القيود المفروضة على ممارسة الشعائر الدينية..... 44
3.2. العلاقات الدينية بين المسلمين والأقليات الدينية..... 46
1.3.2. الحوار الديني والمناظرات العقائدية..... 46
2.3.2. التعايش الديني والاحترام المتبادل..... 48
3.3.2. أثر الفكر الديني الإسلامي على الأقليات الدينية..... 51
الفصل الثالث..... 55
الأوضاع القانونية والإدارية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي 55
1.3. الوضع القانوني للمسيحيين في القدس 55
1.1.3. الامتيازات الممنوحة للمسيحيين بعد تحرير القدس 55
2.1.3. القيود المفروضة على المسيحيين في القدس..... 56
3.1.3. التنظيم الإداري للطوائف المسيحية في القدس 58
2.3. الوضع القانوني لليهود في القدس..... 59
1.2.3. عودة اليهود إلى القدس بعد تحريرها 59
2.2.3. الحقوق والواجبات القانونية لليهود في القدس 61
3.2.3. التنظيم الإداري للطائفة اليهودية في القدس..... 63
3.3. العلاقات بين السلطة الأيوبية والأقليات الدينية 65

1.3.3. دور القضاء في تنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة 65
2.3.3. دور المؤسسات الدينية في تنظيم شؤون الأقليات 66
3.3.3. التمثيل السياسي للأقليات الدينية في القدس 68
الفصل الرابع..... 71
الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي..... 71
1.4. الأوضاع الاقتصادية للأقليات الدينية..... 71
1.1.4. المهن والحرف التي مارسها المسيحيون واليهود في القدس 71
2.1.4. الملكية العقارية للأقليات الدينية في القدس 74
3.1.4. التجارة والأسواق ودور الأقليات الدينية فيها..... 76
4.1.4. الأوقاف الدينية للمسيحيين واليهود في القدس 79
2.4. الأوضاع الاجتماعية للأقليات الدينية..... 82
1.2.4. التوزيع السكاني والديموغرافي للأقليات الدينية في القدس..... 82
2.2.4. الحياة اليومية والثقافية للأقليات الدينية في القدس..... 85
3.2.4. العلاقات الاجتماعية بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم..... 89
3.4. المؤسسات الدينية والثقافية للأقليات الدينية..... 94
1.3.4. الكنائس والأديرة المسيحية في القدس..... 94
2.3.4. الكنس والمؤسسات الدينية اليهودية في القدس 98
3.3.4. المؤسسات التعليمية والثقافية للأقليات الدينية في القدس 101
الخاتمة 109
النتائج.....110
التوصيات 110
المصادر والمراجع.....112

السيرة الذاتية.....114

جدول المختصرات

هـ: هجري

م: ميلادي

د.ت: بدون تاريخ

المدخل

تُعد مدينة القدس من أقدم مدن العالم وأكثرها قداسة، حيث تحتل مكانة دينية وتاريخية فريدة لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية. وقد شهدت هذه المدينة المقدسة عبر تاريخها الطويل تقلبات سياسية وحضارية متعددة، وتعاقبت عليها دول وممالك مختلفة، مما أثر بشكل مباشر على تركيبتها السكانية وأوضاعها الاجتماعية والدينية.

يمثل العصر الأيوبي (583-648هـ/1187-1250م) مرحلة مفصلية في تاريخ مدينة القدس، إذ بدأت هذه المرحلة بتحرير المدينة من الاحتلال الصليبي على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في 27 رجب 583هـ الموافق 2 أكتوبر 1187م، بعد معركة حطين الشهيرة. وقد مثل هذا التحرير نقطة تحول جوهرية في تاريخ المدينة، حيث أعاد للقدس طابعها الإسلامي بعد أن عانت من تغييرات جذرية في هويتها الدينية والثقافية خلال فترة الاحتلال الصليبي التي استمرت قرابة 88 عاماً (492-583هـ/1099-1187م).

تميزت فترة الحكم الأيوبي للقدس بسياسة متوازنة في التعامل مع الأقليات الدينية، وهو ما يتجلى في المعاملة التي لقيها المسيحيون واليهود في المدينة المقدسة. فقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بالاحتفاظ بكنائسهم وممارسة شعائرهم الدينية بحرية، كما رفع الحظر عن سكنى اليهود في المدينة وسمح لهم بالعودة إليها بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك خلال فترة الاحتلال الصليبي. وقد استمرت هذه السياسة المتسامحة تجاه الأقليات الدينية طوال فترة الحكم الأيوبي للقدس، مع بعض التغيرات التي طرأت عليها تبعاً للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة.

إشكالية الدراسة وأسئلتها

تتمحور إشكالية هذا البحث حول طبيعة الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية التي عاشتها الأقليات الدينية في مدينة القدس خلال العصر الأيوبي (583-648هـ/1187-1250م)، وكيفية تعامل الدولة الأيوبية مع هذه الأقليات في ظل الظروف السياسية والعسكرية المعقدة التي شهدتها المنطقة في تلك الفترة، والتي تميزت باستمرار الصراع مع القوى الصليبية. كما تتناول الإشكالية التحولات التي طرأت على أوضاع هذه الأقليات بعد تحرير المدينة من الاحتلال الصليبي، ومدى تأثير السياسات الأيوبية على التركيبة الدينية والاجتماعية للمدينة المقدسة.

السؤال الرئيسي

كيف كانت أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي؟

الأسئلة الفرعية

1. ما هي التركيبة الدينية والسكانية لمدينة القدس قبل وبعد تحريرها من الاحتلال الصليبي على يد صلاح الدين الأيوبي؟
2. كيف تعامل صلاح الدين الأيوبي مع المسيحيين في القدس بعد تحريرها؟
3. ما هي سياسة الدولة الأيوبية تجاه اليهود في القدس؟
4. كيف طُبق نظام أهل الذمة والشروط العمرية على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي؟
5. ما هي الأوضاع الاقتصادية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي؟
6. ما هي أبرز المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي؟
7. كيف كانت العلاقات بين المكونات الدينية المختلفة في مجتمع القدس خلال العصر الأيوبي؟

أهداف الدراسة

1. تحليل التركيبة الدينية والسكانية لمدينة القدس قبل وبعد تحريرها من الاحتلال الصليبي.
2. دراسة موقف صلاح الدين الأيوبي من المسيحيين في القدس بعد التحرير.

3. رصد سياسة الدولة الأيوبية تجاه الوجود اليهودي في القدس.
4. تفسير كيفية تطبيق نظام أهل الذمة والشروط العمرية على الأقليات الدينية (المسيحيين واليهود) خلال العصر الأيوبي.
5. تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصادية للأقليات الدينية في القدس خلال الحكم الأيوبي.
6. تحديد أبرز المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية التي أنشأتها أو استخدمتها الأقليات الدينية في القدس.
7. تحليل العلاقات والتفاعلات بين المكونات الدينية المختلفة في القدس خلال العصر الأيوبي.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية دراسة أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي في عدة جوانب أساسية:

أولاً: تسليط الضوء على نموذج تاريخي للتعايش الديني في مدينة تعتبر من أكثر مدن العالم حساسية من الناحية الدينية، وذلك في فترة تاريخية شهدت صراعات دينية حادة تمثلت في الحروب الصليبية. فدراسة كيفية تعامل الدولة الأيوبية مع الأقليات الدينية في القدس تقدم نموذجاً تاريخياً مهماً للتسامح الديني والتعايش بين أتباع الديانات المختلفة.

ثانياً: فهم التحولات التي طرأت على التركيبة السكانية والدينية لمدينة القدس بعد تحريرها من الاحتلال الصليبي، وكيف أثرت سياسات الدولة الأيوبية على هذه التركيبة. فقد شهدت المدينة تغيرات ديموغرافية مهمة خلال هذه الفترة، سواء من حيث عودة السكان المسلمين إليها، أو من حيث السماح لليهود بالعودة والاستقرار فيها، أو من حيث تنظيم وجود المسيحيين فيها.

ثالثاً: إبراز الجوانب القانونية والإدارية في تعامل الدولة الأيوبية مع الأقليات الدينية، وكيفية تطبيق نظام أهل الذمة والشروط العمرية في هذه الفترة. فدراسة هذه الجوانب تساعد على فهم أعمق للنظم الإدارية والقانونية التي حكمت العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية خلال العصور الوسطى.

رابعاً: تصحيح بعض المفاهيم والصور النمطية التي تروج في بعض الكتابات التاريخية الغربية حول تعامل المسلمين مع غير المسلمين في المدن المقدسة، وخاصة القدس. فدراسة

أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بشكل موضوعي ومستند إلى المصادر التاريخية الأصلية يساهم في تقديم صورة أكثر دقة وموضوعية عن هذه الفترة التاريخية المهمة.

خامساً: المساهمة في إثراء المكتبة العربية بدراسة متخصصة حول أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، وهو موضوع لم يحظ باهتمام كافٍ في الدراسات التاريخية العربية، رغم أهميته في فهم تاريخ المدينة المقدسة وتطورها الاجتماعي والديني عبر العصور.

سادساً: تقديم رؤية تاريخية متكاملة عن الحياة الدينية والاجتماعية في القدس خلال العصر الأيوبي، وكيف تفاعلت المكونات الدينية المختلفة للمدينة مع بعضها البعض، وكيف أثر ذلك على الحياة الثقافية والاقتصادية فيها. فدراسة أوضاع الأقليات الدينية لا تنفصل عن دراسة المجتمع المقدسي ككل في هذه الفترة.

أسباب اختيار الدراسة

تعود أسباب اختيار موضوع "أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي" للدراسة والبحث إلى عدة اعتبارات علمية ومنهجية وموضوعية، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الأهمية التاريخية للموضوع، حيث يتناول فترة مفصلية في تاريخ مدينة القدس، وهي فترة الحكم الأيوبي التي أعقبت تحرير المدينة من الاحتلال الصليبي، وما صاحب ذلك من تغيرات جذرية في الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية للمدينة المقدسة.

2. ندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بشكل شامل ومتكامل، رغم وفرة المصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال.

3. الحاجة إلى تصحيح بعض المفاهيم والصور النمطية التي تروج في بعض الكتابات التاريخية الغربية حول تعامل المسلمين مع غير المسلمين في المدن المقدسة، وخاصة القدس، وتقديم صورة أكثر دقة وموضوعية عن هذه الفترة التاريخية المهمة.

4. الرغبة في إبراز نموذج تاريخي للتعايش الديني في مدينة تعتبر من أكثر مدن العالم حساسية من الناحية الدينية، وذلك في فترة تاريخية شهدت صراعات دينية حادة تمثلت في الحروب الصليبية.

5. الاهتمام الشخصي بتاريخ مدينة القدس وتطورها الحضاري عبر العصور، وخاصة في الفترات التي شهدت تحولات سياسية وثقافية مهمة، مثل فترة الحكم الأيوبي.

الحدود الموضوعية والزمانية والمكانية لموضوع الدراسة

الحدود الموضوعية: يتناول البحث أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي.

الحدود الزمانية: يغطي البحث الفترة الزمنية الممتدة من تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي في 27 رجب 583هـ الموافق 2 أكتوبر 1187م، وحتى نهاية الحكم الأيوبي للقدس في عام 648هـ/1250م.

الحدود المكانية: يركز البحث على مدينة القدس.

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على مجموعة من المناهج البحثية المتكاملة التي تتناسب مع طبيعة الموضوع وأهدافه، وتساعد على الإجابة عن الأسئلة البحثية المطروحة بشكل علمي ودقيق. اعتمدت بشكل أساسي على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات والحقائق التاريخية من مصادرها الأصلية، ووصفها وتحليلها بشكل موضوعي ومنهجي، ومناهج مساعدة كالمنهج المقارن، ومنهج تحليل المضمون.

الفصل الأول

الخلفية التاريخية والسياسية للقدس في العصر الأيوبي

يتناول هذا الفصل الخلفية التاريخية والسياسية للقدس خلال العصر الأيوبي، وأوضاع الأقليات الدينية فيها. ويهدف إلى تقديم صورة شاملة عن الظروف التي مرت بها المدينة المقدسة خلال هذه الفترة التاريخية المهمة، والتي امتدت من سنة (583هـ/1187م) تاريخ تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي إلى سنة (648هـ/1250م) نهاية العصر الأيوبي.

وتكمن أهمية دراسة هذه الفترة في أنها شهدت تحولات جذرية في أوضاع القدس بشكل عام، وفي أوضاع الأقليات الدينية فيها بشكل خاص. فقد انتقلت المدينة من الحكم الصليبي الذي استمر قرابة تسعين عاماً إلى الحكم الإسلامي، مما أدى إلى تغييرات كبيرة في التركيبة السكانية والحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون، وخاصة صلاح الدين، تجاه الأقليات الدينية في القدس، وهي سياسة تختلف جذرياً عن سياسة التعصب والإقصاء التي انتهجها الصليبيون تجاه المسلمين واليهود خلال فترة احتلالهم للمدينة.

وسيتناول هذا الفصل أربعة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: القدس قبل العصر الأيوبي، ويتناول تاريخ القدس منذ الفتح الإسلامي وحتى الاحتلال الصليبي، وأوضاع المدينة خلال فترة الاحتلال الصليبي.

المبحث الثاني: تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي، ويتناول الظروف التي أدت إلى تحرير القدس، ومعركة حطين، ودخول صلاح الدين إلى القدس، وسياسته تجاه سكان المدينة.

المبحث الثالث: التطورات السياسية في القدس خلال العصر الأيوبي، ويتناول أوضاع القدس في عهد صلاح الدين وخلفائه، وتسليم القدس للصليبيين بموجب معاهدة يافا، واستعادتها وأوضاعها حتى نهاية العصر الأيوبي.

المبحث الرابع: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في القدس خلال العصر الأيوبي، ويتناول التركيبة السكانية للقدس والحياة الاقتصا ـ والثقافية والدينية فيها.

1.1. القدس قبل العصر الأيوبي

1.1.1. القدس في العصر الإسلامي المبكر (الفتح الإسلامي حتى الغزو الصليبي)

أ- الفتح الإسلامي للقدس:

تعد مدينة القدس من أقدم المدن في العالم وأكثرها قدسية، فهي مدينة ذات أهمية دينية وتاريخية كبرى للديانات السماوية الثلاث. وقد عرفت القدس في المصادر الإسلامية باسم "بيت المقدس" و"إلياء"، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان عليها إيليا كابيتولينا نسبة إلى الإمبراطور الروماني إيليوس ها دريانوس الذي أعاد بناءها بعد تدميرها عام 135م.

وقد فتحت القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 16هـ/637م، وكان فتحها صلحاً. وأن أهل إلياء (القدس) طلبوا من أبي عبيدة بن الجراح أن يصالحهم على مثل صلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر من المدينة إلى الجابية ثم سار إلى القدس وصالح أهلها.[1]

وقد اشتهرت العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لأهل القدس، والتي تضمنت الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وألا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.[2]

---

[1] محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، 1967)، 609/3.

[2] ابي الحسن علي ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، الطبعة4، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003)، 347/2.

ولما فتحت بيت المقدس دخلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان لباسه قميصاً من صوف مرقعاً بعضه بأديم، فلما رآه بطريق بيت المقدس قال: هذا والله الذي نجد صفته في كتبنا، وهو الذي يفتح بيت المقدس.[3]

وقد اهتم المسلمون بالقدس اهتماماً كبيراً منذ الفتح الإسلامي، وذلك لمكانتها الدينية العظيمة في الإسلام، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد بدأ الاهتمام بالمسجد الاقصى منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي قام بتنظيف الصخرة المشرقة وبنى مسجداً بسيطاً في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي.[4]

ب- القدس في العصر الأموي:

شهدت القدس في العصر الأموي (41-132هـ/ 661-750م) اهتماماً كبيراً من قبل الخلفاء الأمويين، وخاصة الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) الذي بنى قبة الصخرة سنة 72 هـ/ 691م، وابنه الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) الذي أعاد بناء المسجد الأقصى، عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة وزخرفها بالذهب، وجعل لها سدنة وخداماً، وفرض لهم الأرزاق، وعلق عليها الستور، وأقام لها البخور.[5]

وفي سنة اثنتين وسبعين بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة ببيت المقدس، وكان سبب بنائه إياها أن ابن الزبير كان يدعو الناس إلى نفسه بمكة، وكان أهل الشام يحجون إليه، فخاف عبد الملك أن يأخذ ابن الزبير منهم البيعة إذا وافوا إليه، فمنع أهل الشام من الحج، فأنكروا ذلك، فقال: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها لما عرج به إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة،

---

[3] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 348/2.

[4] عارف، العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1961)، 97.

[5] أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، الطبعة3، (بيروت: دار صادر، 1991)، 159.

فبنى عليها قبة، وعلق عليها الستور الحرير، وأقام لها سدنة، وأمر الناس بالطواف حولها كما يطوفون حول الكعبة، فحج الناس إليها زمان بني أمية".[6]

وقد أنفق عبد الملك بن مروان على بناء قبة الصخرة خراج مصر لسبع سنين، وكانت من أروع المباني الإسلامية في ذلك العصر. أما المسجد الأقصى فقد أعاد بناءه الوليد بن عبد الملك بعد أن تصدع بسبب زلزال أصاب المنطقة.[7]

وقد استمر اهتمام الأمويين بالقدس حتى نهاية عصرهم، وكان بعض الخلفاء الأمويين يزورون القدس ويصلون في المسجد الأقصى، مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

ت- القدس في العصر العباسي:

استمر اهتمام المسلمين بالقدس في العصر العباسي (132-656هـ / 750-1258م)، وقد زار الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ /754-775م) القدس سنة 140هـ/758م، وأمر بترميم المسجد الأقصى بعد أن تضرر من زلزال أصاب المنطقة. كما زارها الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م) سنة 163هـ /780م، وأمر بإعادة بناء المسجد الأقصى وتوسيعه.[8]

وقد تعرضت القدس في العصر العباسي لعدة زلازل أدت إلى تضرر المسجد الأقصى وقبة الصخرة، مما استدعى ترميمهما عدة مرات. كما شهدت المدينة فترات من الاضطرابات السياسية، خاصة في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) الذي شهد ثورة أهل فلسطين بقيادة أبي حرب اليماني سنة 198هـ / 813م.[9]

وفي أواخر العصر العباسي الأول، ضعفت سيطرة الخلافة العباسية على أطراف الدولة، وظهرت دويلات مستقلة، ومنها الدولة الطولونية في مصر والشام (254-292هـ / 868-905م)، والتي اهتم مؤسسها أحمد بن طولون بالقدس وأمر بترميم المسجد الأقصى.

---

[6] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 106/4.

[7] عماد الدين ابي الفدا ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الجيزة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1998)، 74/9.

[8] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 22/5.

[9] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 528/8.

ث- القدس في عهد الدولة الفاطمية:

خضعت القدس للحكم الفاطمي منذ سنة 358هـ / 969م عندما استولى جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي على مصر والشام. وقد شهدت القدس في العصر الفاطمي فترات من الاستقرار والازدهار، وفترات أخرى من الاضطرابات والفتن.

ومن أبرز الأحداث التي شهدتها القدس في العصر الفاطمي ما قام به الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386-411هـ/ 996-1021م) من هدم كنيسة القيامة سنة 400هـ/1009م، وهو ما أثار غضب المسيحيين في أوروبا وكان من الأسباب غير المباشرة للحروب الصليبية فيما بعد. وفي هذه السنة أمر الحاكم بهدم كنيسة القيامة ببيت المقدس، فهدمت ونهب ما كان فيها، وكان سبب ذلك أن بعض المسلمين سعى إليه وقال: إن النصارى يدعون أن النار تنزل في يوم عيد الفصح على القناديل التي في الكنيسة، وإنما هي حيلة يعملونها.[10]

وقد أعاد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1021-1036م) بناء كنيسة القيامة بعد وفاة والده الحاكم بأمر الله، وذلك استجابة لطلب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن، وبموجب معاهدة بين الطرفين.[11]

وفي أواخر العصر الفاطمي، ضعفت سيطرة الفاطميين على بلاد الشام، وتعرضت القدس للغزو السلجوقي سنة 463هـ/1071م على يد أتسز بن أوق السلجوقي، ثم استعادها الفاطميون سنة 469هـ / 1077م، ثم عادت للملاحقة سنة 470هـ / 1078م على يد نتش بن ألب أرسلان، واستمرت تحت حكم السلاجقة حتى سقوطها بيد الصليبيين سنة 492هـ/ 1099م.[12]

ج- أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر:

تميزت سياسة المسلمين تجاه الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر بالتسامح والعدل، وذلك انطلاقاً من تعاليم الإسلام ومن العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لأهل القدس.

---

[10] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 261/7.

[11] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 301/7.

[12] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 152/8.

عمر بن الخطاب عندما دخل القدس كان وقت صلاة، فقال له البطريق صفرونيوس: "صل في كنيسة القيامة"، فقال عمر: "لا أصلي فيها، فإنه لو صليت فيها لأخذها المسلمون بعدي ويقولون: هنا صلى عمر". فصلى على درجة على باب كنيسة، ثم قال: امضوا على ما صالحتكم عليه".[13]

وقد عاش المسيحيون واليهود في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر في ظل نظام أهل الذمة، الذي يقوم على حمايتهم وضمان حقوقهم الدينية والمدنية مقابل دفع الجزية والالتزام بشروط معينة. وكان لكل طائفة دينية مؤسساتها الخاصة وقيادتها الدينية التي تمثلها أمام السلطة الإسلامية.

يقول المقدسي في وصفه للقدس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي: "وأهل بيت المقدس أهل علم وفقه وعبادة وتجارة، وفيهم النصارى واليهود، ولهم كنائس وبيع، ولا يظهرون فيها منكراً، ولا يرفعون أصواتهم بالناقوس، ولا يشربون الخمر علانية".[14]

وقد شهدت أوضاع الأقليات الدينية في القدس تغيرات وتقلبات تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها المدينة. ففي بعض الفترات، مثل عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-720م)، تميزت السياسة تجاه أهل الذمة بالعدل والتسامح، بينما شهدت فترات أخرى، مثل عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بعض مظاهر التشدد والاضطهاد.

وبشكل عام، يمكن القول إن أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر كانت أفضل بكثير من أوضاعهم في ظل الحكم البيزنطي السابق، الذي كان يضطهد اليهود ويمنعهم من دخول المدينة، ويضطهد المسيحيين غير الأرثوذكس. كما كانت أفضل بكثير من أوضاع المسلمين واليهود في ظل الاحتلال الصليبي اللاحق، الذي شهد مذابح وعمليات تطهير ديني واسعة النطاق.

ح- الفتح الإسلامي للقدس

---

[13] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 348/2.

[14] المقدسي، *أحسن التقاسيم*، 167.

تعد مدينة القدس من أقدم المدن في العالم وأكثرها قدسية، فهي مدينة ذات أهمية دينية وتاريخية كبرى للديانات السماوية الثلاث. وقد عُرفت القدس في المصادر الإسلامية باسم "بيت المقدس" و"إلياء"، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان عليها (إيليا كابيتولينا) نسبة إلى الإمبراطور الروماني إيليوس هادريانوس الذي أعاد بناءها بعد تدميرها عام 135م.

وقد فتحت القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 16هـ/637م، وكان فتحها صلحاً. حيث أن أهل إلياء (القدس) طلبوا من أبي عبيدة بن الجراح أن يصالحهم على مثل صلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر من المدينة إلى الجابية ثم سار إلى القدس وصالح أهلها.[15]

وقد اشتهرت العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لأهل القدس، والتي تضمنت الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وألا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم.[16]

ولما فتحت بيت المقدس دخلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان لباسه قميصاً من صوف مرقعاً بعضه بأديم، فلما رآه بطريق بيت المقدس قال: هذا والله الذي نجد صفته في كتبنا، وهو الذي يفتح بيت المقدس.[17]

وقد اهتم المسلمون بالقدس اهتماماً كبيراً منذ الفتح الإسلامي، وذلك لمكانتها الدينية العظيمة في الإسلام، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد بدأ الاهتمام بالمسجد الأقصى منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي قام بتنظيف الصخرة المشرفة وبنى مسجداً بسيطاً في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي.[18]

خ- القدس في العصر الأموي

---

[15] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 609/3.

[16] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 347/2.

[17] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 348/2.

[18] العارف، *المفصل في تاريخ القدس*، 97.

شهدت القدس في العصر الأموي (41–132هـ/661–750م) اهتماماً كبيراً من قبل الخلفاء الأمويين، وخاصة الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ/685–705م) الذي بنى قبة الصخرة سنة 72هـ/691م، وابنه الوليد بن عبد الملك (86–96هـ/705–715م) الذي أعاد بناء المسجد الأقصى.

يذكر أن عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة وزخرفها بالذهب، وجعل لها سدنة وخداماً، وفرض لهم الأرزاق، وعلق عليها الستور، وأقام لها البخور.[19] "وفي سنة اثنتين وسبعين بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة ببيت المقدس، وكان سبب بنائه إياها أن ابن الزبير كان يدعو الناس إلى نفسه بمكة، وكان أهل الشام يحجون إليه، فخاف عبد الملك أن يأخذ ابن الزبير منهم البيعة إذا وافوا إليه، فمنع أهل الشام من الحج، فأنكروا ذلك، فقال: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، وهذه الصخرة التي يُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها لما عرج به إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى عليها قبة، وعلق عليها الستور الحرير، وأقام لها سدنة، وأمر الناس بالطواف حولها كما يطوفون حول الكعبة، فحج الناس إليها زمان بني أمية".[20]

وقد أنفق عبد الملك بن مروان على بناء قبة الصخرة خراج مصر لسبع سنين، وكانت من أروع المباني الإسلامية في ذلك العصر. أما المسجد الأقصى فقد أعاد بناءه الوليد بن عبد الملك بعد أن تصدع بسبب زلزال أصاب المنطقة.[21]

وقد استمر اهتمام الأمويين بالقدس حتى نهاية عصرهم، وكان بعض الخلفاء الأمويين يزورون القدس ويصلون في المسجد الأقصى، مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

د- القدس في العصر العباسي

استمر اهتمام المسلمين بالقدس في العصر العباسي (132–656هـ/750–1258م)، وقد زار الخليفة أبو جعفر المنصور (136–158هـ/754–775م) القدس سنة 140هـ/758م، وأمر

---

[19] المقدسي، *أحسن التقاسيم*، 159.

[20] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 106/4.

[21] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 74/9.

بترميم المسجد الأقصى بعد أن تضرر من زلزال أصاب المنطقة. كما زارها الخليفة المهدي (158–169هـ/775–785م) سنة 163هـ/780م، وأمر بإعادة بناء المسجد الأقصى وتوسيعه.[22]

وقد تعرضت القدس في العصر العباسي لعدة زلازل أدت إلى تضرر المسجد الأقصى وقبة الصخرة، مما استدعى ترميمهما عدة مرات. كما شهدت المدينة فترات من الاضطرابات السياسية، خاصة في عهد الخليفة المأمون (198–218هـ/813–833م) الذي شهد ثورة أهل فلسطين بقيادة أبي حرب اليماني سنة 198هـ/813م.[23]

وفي أواخر العصر العباسي الأول، ضعفت سيطرة الخلافة العباسية على أطراف الدولة، وظهرت دويلات مستقلة، ومنها الدولة الطولونية في مصر والشام (254–292هـ/868–905م)، والتي اهتم مؤسسها أحمد بن طولون بالقدس وأمر بترميم المسجد الأقصى.

ذ- القدس في عهد الدولة الفاطمية

خضعت القدس للحكم الفاطمي منذ سنة 358هـ/969م عندما استولى جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي على مصر والشام. وقد شهدت القدس في العصر الفاطمي فترات من الاستقرار والازدهار، وفترات أخرى من الاضطرابات والفتن.

ومن أبرز الأحداث التي شهدتها القدس في العصر الفاطمي ما قام به الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386–411هـ/996–1021م) من هدم كنيسة القيامة سنة 400هـ/1009م، وهو ما أثار غضب المسيحيين في أوروبا وكان من الأسباب غير المباشرة للحروب الصليبية فيما بعد. يقول ابن الأثير: "وفي هذه السنة أمر الحاكم بهدم كنيسة القيامة ببيت المقدس، فهدمت، ونهب ما كان فيها، وكان سبب ذلك أن بعض المسلمين سعى إليه وقال: إن النصارى يدعون أن النار تنزل في يوم عيد الفصح على القناديل التي في الكنيسة، وإنما هي حيلة يعملونها".[24]

---

[22] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 22/5.

[23] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 528/8.

[24] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 261/7.

وقد أعاد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411–427هـ/1021–1036م) بناء كنيسة القيامة بعد وفاة والده الحاكم بأمر الله، وذلك استجابة لطلب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن، وبموجب معاهدة بين الطرفين.[25]

وفي أواخر العصر الفاطمي، ضعفت سيطرة الفاطميين على بلاد الشام، وتعرضت القدس للغزو السلجوقي سنة 463هـ/1071م على يد أتسز بن أوق السلجوقي، ثم استعادها الفاطميون سنة 469هـ/1077م، ثم عادت للسلاجقة سنة 470هـ/1078م على يد تتش بن ألب أرسلان، واستمرت تحت حكم السلاجقة حتى سقوطها بيد الصليبيين سنة 492هـ/1099م.[26]

ر- أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر

تميزت سياسة المسلمين تجاه الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر بالتسامح والعدل، وذلك انطلاقاً من تعاليم الإسلام ومن العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لأهل القدس، حيث أن عمر بن الخطاب عندما دخل القدس كان وقت صلاة، فقال له البطريق صفرونيوس: "صل في كنيسة القيامة"، فقال عمر: "لا أصلي فيها، فإنه لو صليت فيها لأخذها المسلمون بعدي ويقولون: هنا صلى عمر". فصلى على درجة على باب كنيسة، ثم قال: "امضوا على ما صالحتكم عليه".[27]

وقد عاش المسيحيون واليهود في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر في ظل نظام أهل الذمة، الذي يقوم على حمايتهم وضمان حقوقهم الدينية والمدنية مقابل دفع الجزية والالتزام بشروط معينة. وكان لكل طائفة دينية مؤسساتها الخاصة وقيادتها الدينية التي تمثلها أمام السلطة الإسلامية.

يقول المقدسي في وصفه للقدس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي: "وأهل بيت المقدس أهل علم وفقه وعبادة وتجارة، وفيهم النصارى واليهود، ولهم كنائس وبيع، ولا يظهرون فيها منكراً، ولا يرفعون أصواتهم بالناقوس، ولا يشربون الخمر علانية".[28]

---

[25] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 301/7.

[26] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 152/8.

[27] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 248/2.

[28] المقدسي، *أحسن التقاسيم*، 167.

وقد شهدت أوضاع الأقليات الدينية في القدس تغيرات وتقلبات تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها المدينة. ففي بعض الفترات، مثل عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م)، تميزت السياسة تجاه أهل الذمة بالعدل والتسامح، بينما شهدت فترات أخرى، مثل عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، بعض مظاهر التشدد والاضطهاد.

وبشكل عام، يمكن القول إن أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الإسلامي المبكر كانت أفضل بكثير من أوضاعهم في ظل الحكم البيزنطي السابق، الذي كان يضطهد اليهود ويمنعهم من دخول المدينة، ويضطهد المسيحيين غير الأرثوذكس. كما كانت أفضل بكثير من أوضاع المسلمين واليهود في ظل الاحتلال الصليبي اللاحق، الذي شهد مذابح وعمليات تطهير ديني واسعة النطاق.

2.1.1. القدس تحت الاحتلال الصليبي (492-583هـ/1099-1187م)

1. بداية الحروب الصليبية وأسبابها

تعد الحروب الصليبية من أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط في العصور الوسطى، وقد استمرت قرابة قرنين من الزمان (490-690هـ/1096-1291م). وكانت القدس محور هذه الحروب وهدفها الرئيسي، حيث سعى الصليبيون إلى السيطرة عليها وإقامة ممالك لاتينية في المشرق الإسلامي.

وقد تعددت أسباب الحروب الصليبية وتداخلت، ومن أبرزها:

أ- الأسباب الدينية: تمثلت في رغبة المسيحيين الغربيين في السيطرة على الأماكن المقدسة في فلسطين، وخاصة القدس وكنيسة القيامة، وتأمين طرق الحج المسيحي إليها. وقد استغلت البابوية هذه المشاعر الدينية لتحقيق أهداف سياسية.

ب- الأسباب السياسية: تمثلت في رغبة البابوية في توسيع نفوذها على حساب الكنيسة البيزنطية الشرقية، ورغبة ملوك وأمراء أوروبا في إقامة ممالك وإمارات لهم في الشرق.

ت- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية: تمثلت في الأزمات الاقتصادية التي كانت تعاني منها أوروبا في ذلك الوقت، والرغبة في السيطرة على طرق التجارة مع الشرق، بالإضافة إلى

مشكلة ازدياد عدد الفرسان الذين لا يملكون أراضٍ في أوروبا بسبب نظام الإرث الإقطاعي.

وكان ابتداء خروج الفرنج من بلادهم سنة تسعين وأربعمائة، وسبب ذلك أن ملك الروم قد ضعف أمره، وطمع الفرنج في بلاده، فأرسل إلى ملك الفرنج يستنجده على المسلمين، ويرغبه في ملك الشام، فأجابه إلى ذلك.[29]

وقد بدأت الحملة الصليبية الأولى بدعوة من البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت بفرنسا سنة 488هـ/1095م، حيث دعا المسيحيين إلى حمل السلاح لتحرير الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين. وقد استجاب لهذه الدعوة عدد كبير من الفرسان والأمراء الأوروبيين، وتشكلت الحملة الصليبية الأولى التي وصلت إلى بلاد الشام سنة 490هـ/1097م.

2. سقوط القدس بيد الصليبيين

وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى أسوار القدس في 15 رجب 492هـ/7 يونيو 1099م، وبدأت في حصار المدينة. وكانت القدس آنذاك تحت حكم الفاطميين الذين استعادوها من السلاجقة قبل وصول الصليبيين بفترة قصيرة.

يصف ابن الأثير حصار القدس قائلاً: "ولما وصل الفرنج إلى القدس نازلوها وحصروها، وكان بها افتخار الدولة، صاحب جيوش مصر، في جمع كثير، فقاتلهم قتالاً شديداً، وامتنع عليهم أربعين يوماً، ثم إنهم نصبوا عليها المجانيق، وزحفوا إليها من كل جانب، وملكوها عنوة يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان".[30]

وقد سقطت القدس بيد الصليبيين في 23 شعبان 492هـ/15 يوليو 1099م، وارتكب الصليبيون مجزرة رهيبة بحق سكان المدينة من المسلمين واليهود. "وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما ينيف على سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف".[31]

---

[29] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 481/8.

[30] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 496/8.

[31] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 496/8.

ويؤكد هذه الرواية المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين" قائلاً: "وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، قيل: زيادة على سبعين ألفاً، وأخذوا من الذهب والفضة ما لا يحصى، ونهبوا من قبة الصخرة أكثر من أربعين قنديلاً من الفضة، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا نحو مائة وخمسين قنديلاً صغاراً، وعشرين قنديلاً من الذهب".[32]

وبعد سقوط القدس، أسس الصليبيون مملكة بيت المقدس اللاتينية، وتم اختيار جودفري دي بويون قائد الحملة الصليبية ملكاً عليها، لكنه رفض أن يتوج ملكاً في المدينة التي توج فيها المسيح بالشوك، واكتفى بلقب "حامي القبر المقدس". وبعد وفاته بعام واحد، تولى أخوه بلدوين الأول الحكم وتوج ملكاً على بيت المقدس (493–518هـ/1100–1118م).

3. القدس تحت الحكم الصليبي

استمر الحكم الصليبي للقدس قرابة 88 عاماً (492–583هـ/1099–1187م)، وتعاقب على حكم مملكة بيت المقدس خلال هذه الفترة ثمانية ملوك، هم:

أ- جودفري دي بويون (492–493هـ/1099–1100م).

ب- بلدوين الأول (493–518هـ/1100–1118م).

ت- بلدوين الثاني (518–533هـ/1118–1131م).

ث- فولك الأنجوي (533–543هـ/1131–1143م).

ج- بلدوين الثالث (543–569هـ/1143–1162م).

ح- عموري الأول (569–575هـ/1162–1174م).

خ- بلدوين الرابع (575–582هـ/1174–1185م).

د- بلدوين الخامس (582–583هـ/1185–1186م).

ذ- جي دي لوزينيان (583هـ/1186–1187م).

[32] شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)، 301/1.

وقد شهدت القدس خلال فترة الحكم الصليبي تغيرات جذرية في طابعها الديني والعمراني والسكاني. فقد حول الصليبيون المسجد الأقصى إلى كنيسة، وأقاموا فيه مقر فرسان الهيكل، كما حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وأطلقوا عليها اسم "هيكل الرب". وقد وصف ابن جبير الذي زار القدس سنة 580هـ/1184م هذه التغييرات قائلاً: "والمسجد الأقصى قد استولى الروم عليه، وهو في أيديهم، وقد بنوا فيه كنيسة وصوراً، ولم يبق في أيدي المسلمين منه إلا المحراب المنسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه".[33]

كما شهدت القدس خلال هذه الفترة تغيراً ديموغرافياً كبيراً، حيث تم طرد معظم السكان المسلمين منها، وتم استقدام مستوطنين أوروبيين للإقامة فيها. وقد قسمت المدينة إلى أربعة أحياء: الحي اللاتيني، والحي الأرمني، والحي اليوناني، والحي المسلم الصغير.

وقد أقام الصليبيون في القدس عدداً من المباني والمؤسسات الدينية والعسكرية، مثل كنيسة القيامة التي أعيد بناؤها وتوسيعها، وكنيسة سانت آن، ودير القديسة مريم الكبرى، وقلعة القدس، ومقر فرسان الهيكل، ومقر فرسان الإسبتارية (فرسان القديس يوحنا).

وعلى الصعيد الإداري، كانت مملكة بيت المقدس تدار وفق النظام الإقطاعي الأوروبي، حيث كان الملك على رأس الهرم الإقطاعي، وتحته الأمراء والبارونات الذين يحكمون المقاطعات المختلفة. وكان للكنيسة دور كبير في إدارة المملكة، حيث كان بطريرك القدس اللاتيني يتمتع بسلطات واسعة، وكان للهيئات الدينية العسكرية مثل فرسان الهيكل وفرسان الإسبتارية نفوذ كبير.

4. أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال فترة الاحتلال الصليبي

شهدت أوضاع الأقليات الدينية في القدس تغيراً جذرياً خلال فترة الاحتلال الصليبي. فقد تحول المسلمون من أغلبية حاكمة إلى أقلية مضطهدة، وتعرضوا للقتل والطرد والاضطهاد، خاصة في بداية الاحتلال، "وأقام الفرنج بالقدس أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، ولم ينج منهم إلا من تمكن من الهرب، وكان قد لجأ جماعة من المسلمين إلى محراب داود عليه السلام، فأعطاهم الفرنج الأمان، فلم يفوا لهم، وقتلوهم عن آخرهم"[34]

---

[33] محمد ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1907)، 235.

[34] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 496/8.

وبعد استقرار الحكم الصليبي، سُمح لبعض المسلمين بالبقاء في القدس، لكن تحت ظروف قاسية، حيث فُرضت عليهم ضرائب باهظة، ومُنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية علناً، وأُجبروا على العيش في حي صغير معزول.

أما اليهود، فقد تعرضوا للاضطهاد الشديد على يد الصليبيين، وتم قتل معظمهم أو طردهم من المدينة. "وجمع الفرنج اليهود في كنيس لهم وأحرقوه عليهم".[35] وقد منع الصليبيون اليهود من الإقامة في القدس طوال فترة حكمهم، ولم يُسمح لهم بالعودة إليها إلا بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي.

أما المسيحيون الشرقيون (الأرثوذكس والأرمن والسريان والأقباط)، فقد عانوا أيضاً من اضطهاد الصليبيين الكاثوليك، الذين اعتبروهم منشقين عن الكنيسة الحقيقية. وقد تم إقصاء رجال الدين الشرقيين من المناصب الكنسية العليا، وتم تعيين بطريرك لاتيني للقدس بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي. "وبعد أن استولى الفرنج على المدينة المقدسة، طردوا جميع رجال الدين الشرقيين، وعينوا مكانهم رجال دين لاتين، وأقاموا بطريركاً لاتينياً للقدس".[36]

وبشكل عام، يمكن القول إن فترة الاحتلال الصليبي للقدس كانت من أسوأ الفترات التي مرت بها المدينة من حيث التعصب الديني والاضطهاد، وخاصة بالنسبة للمسلمين واليهود. وقد استمر هذا الوضع حتى تحرير المدينة على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م.

3.1.1. أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال فترة الاحتلال الصليبي

1. المسلمون تحت الحكم الصليبي

شكل المسلمون الأغلبية السكانية في القدس قبل الاحتلال الصليبي، لكن أوضاعهم تغيرت بشكل جذري بعد سقوط المدينة بيد الصليبيين سنة 492هـ/1099م. فقد تعرضوا في البداية لمذبحة كبيرة راح ضحيتها الآلاف منهم، كما تم طرد معظم الناجين من المدينة، و"قتل الفرنج بالمسجد

[35] حمزة ابن القلانسي، *ذيل تاريخ دمشق*، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908)، 222.

[36] سعيد عبد الفتاح عاشور، *الحركة الصليبية*، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2010)، 329/1.

الأقصى ما ينيف على سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف".[37]

ويؤكد هذه الرواية المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري الذي كان شاهد عيان على الأحداث، حيث يقول في كتابه "تاريخ الرحلة إلى القدس": "لقد خاض فرساننا في دماء السراسنة (المسلمين) حتى ركب خيولهم، وكانت الدماء تصل إلى ركبهم وألجمة خيولهم".[38]

وبعد استقرار الحكم الصليبي، سُمح لبعض المسلمين بالبقاء في القدس، لكن تحت ظروف قاسية. فقد فُرضت عليهم ضرائب باهظة، ومُنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية علناً، وأُجبروا على العيش في حي صغير معزول في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة، والمسلمون في هذه المدينة مستضعفون، يؤدون الجزية، وهم قليل، لا يتجاوز عددهم المائتين، وأكثرهم خدام في الكنائس، وصناع يعملون في صناعة الزجاج والحديد.[39]

ورغم هذه الظروف القاسية، فقد حافظ المسلمون الذين بقوا في القدس على هويتهم الدينية والثقافية، وظلوا يتطلعون إلى اليوم الذي يتحرر فيه المسجد الأقصى وتعود القدس إلى الحكم الإسلامي.

2. اليهود تحت الحكم الصليبي

تعرض اليهود للاضطهاد الشديد على يد الصليبيين، وتم قتل معظمهم أو طردهم من المدينة عند سقوطها. "وجمع الفرنج اليهود في كنيس لهم وأحرقوه عليهم".[40]

وقد منع الصليبيون اليهود من الإقامة في القدس طوال فترة حكمهم، ولم يُسمح لهم بالعودة إليها إلا بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي. وكان هذا الموقف المتشدد تجاه اليهود نابعاً من الكراهية الدينية التي كانت سائدة في أوروبا في ذلك الوقت، حيث كان اليهود يُتهمون بقتل المسيح، ويُنظر إليهم على أنهم أعداء للمسيحية.

---

[37] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 496/8.

[38] عاشور، *الحركة الصليبية*، 315/1.

[39] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 236.

[40] ابن القلانسي، *ذيل تاريخ دمشق*، 222.

يقول المؤرخ الإنجليزي ستيفن رنسيمان في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية": "كان موقف الصليبيين من اليهود أكثر تشدداً من موقفهم من المسلمين، فقد سمحوا لبعض المسلمين بالبقاء في القدس، لكنهم منعوا اليهود منعاً باتاً من الإقامة فيها".[41] وقد أدى هذا الاضطهاد إلى هجرة اليهود من فلسطين إلى مناطق أخرى، خاصة إلى مصر وشمال أفريقيا والأندلس، حيث كانوا يتمتعون بقدر أكبر من التسامح في ظل الحكم الإسلامي.

3. المسيحيون الشرقيون تحت الحكم الصليبي

رغم أن الصليبيين جاءوا بدعوى تحرير المسيحيين الشرقيين من حكم المسلمين، إلا أن المسيحيين الشرقيين (الأرثوذكس والأرمن والسريان والأقباط) عانوا أيضاً من اضطهاد الصليبيين الكاثوليك، الذين اعتبروهم منشقين عن الكنيسة الحقيقية. "لقد عامل الصليبيون المسيحيين الشرقيين معاملة سيئة، واعتبروهم هراطقة، وأجبروهم على اتباع الطقوس اللاتينية، وصادروا أملاك كنائسهم".[42]

وقد تم إقصاء رجال الدين الشرقيين من المناصب الكنسية العليا، وتم تعيين بطريرك لاتيني للقدس بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي. كما تم الاستيلاء على ممتلكات الكنائس الشرقية وتحويلها إلى كنائس لاتينية.

وبعد أن استولى الفرنج على المدينة المقدسة، طردوا جميع رجال الدين الشرقيين، وعينوا مكانهم رجال دين لاتين، وأقاموا بطريركاً لاتينياً للقدس.[43] ورغم هذا الاضطهاد، فقد سُمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في القدس، وكان لهم أحياء خاصة بهم، مثل الحي الأرمني والحي اليوناني. وقد حافظوا على هويتهم الدينية والثقافية، وظلوا يمارسون طقوسهم الدينية في كنائسهم الخاصة، رغم الضغوط التي كانوا يتعرضون لها من قبل الكنيسة اللاتينية.

---

[41] عاشور، *الحركة الصليبية*، 331/1.

[42] عاشور، *الحركة الصليبية*، 330/1.

[43] عاشور، *الحركة الصليبية*، 329/1.

وللنصارى في هذه المدينة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة القيامة، وهي التي يعظمونها ويحجون إليها من جميع بلادهم. وفيها من الرهبان والقسيسين ما لا يحصى عددهم، ولكل طائفة منهم كنيسة خاصة بها.[44]

يرى الباحث إن فترة الاحتلال الصليبي للقدس كانت من أسوأ الفترات التي مرت بها المدينة من حيث التعصب الديني والاضطهاد، وخاصة بالنسبة للمسلمين واليهود، بينما عانى المسيحيون الشرقيون من التمييز والإقصاء، رغم أنهم كانوا في وضع أفضل نسبياً من المسلمين واليهود. وقد استمر هذا الوضع حتى تحرير المدينة على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م، الذي أعاد للمدينة طابعها الإسلامي، مع الحفاظ على حقوق الأقليات الدينية فيها.

2.1. التطورات السياسية في القدس خلال العصر الأيوبي

1.2.1. القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي (583–589هـ/1187–1193م)

1. إعادة تنظيم القدس بعد التحرير:

بعد تحرير القدس سنة 583هـ/1187م، أولى صلاح الدين الأيوبي اهتماماً كبيراً بإعادة تنظيم المدينة إدارياً وعسكرياً ودينياً. فقد عين عز الدين جورديك النوري والياً على القدس، ومحيي الدين بن الزكي قاضياً لها، وضياء الدين أبا الفتح نصر بن منصور خطيباً للمسجد الأقصى.[45]

كما أمر بترميم أسوار المدينة وتحصينها، وبناء الأبراج والقلاع فيها، وحفر الخنادق حولها، وجعل فيها حامية قوية من الجند، وزودها بالسلاح والعتاد والمؤن.[46] وقد كان الهدف من هذه الإجراءات هو تأمين المدينة ضد أي هجوم صليبي محتمل، خاصة وأن الصليبيين كانوا لا يزالون يسيطرون على بعض المدن الساحلية مثل صور.

---

[44] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 237.

[45] بهاء الدين يوسف بن رافع ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994)، 91.

[46] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 150/9.

وعلى الصعيد الديني، أمر صلاح الدين بتطهير المسجد الأقصى وقبة الصخرة من آثار الصليبيين، وإعادة الشعائر الإسلامية إليهما، وإنشاء المؤسسات الإسلامية مثل المدارس والخوانق والربط والبيمارستانات، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة.[47]

2. مواجهة الحملة الصليبية الثالثة:

لم يدم استقرار القدس طويلاً، فسرعان ما وصلت أخبار سقوطها إلى أوروبا، مما أدى إلى تنظيم الحملة الصليبية الثالثة (585–588هـ/1189–1192م)، والتي قادها ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا في ذلك الوقت: الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا، وملك فرنسا فيليب أغسطس، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد.

وقد شكلت هذه الحملة تحدياً كبيراً لصلاح الدين، الذي اضطر إلى تركيز جهوده على مواجهة الصليبيين في الساحل الشامي، وخاصة في حصار عكا الذي استمر قرابة عامين (585–587هـ/1189–1191م). ولما وصلت أخبار فتح القدس إلى بلاد الفرنج، عظمت عليهم المصيبة، واجتمع ملوكهم وأمراؤهم، واتفقوا على قصد بلاد الشام لاستعادة القدس، فخرج الإمبراطور الألماني في جيش عظيم، وخرج ملك فرنسا وملك إنجلترا في جيوش عظيمة، وقصدوا عكا، فحاصروها.[48]

وقد حاول ريتشارد قلب الأسد بعد سقوط عكا بيد الصليبيين سنة 587هـ/1191م أن يتقدم نحو القدس لاستعادتها، لكنه فشل في ذلك بسبب مقاومة صلاح الدين، وصعوبة التضاريس، ونقص الإمدادات. ولما فتح الفرنج عكا، عزم ملك إنجلترا على قصد القدس، فسار بجيشه نحو الرملة، وخرج السلطان إليه، ونازله، وجرت بينهما وقائع كثيرة، وكان السلطان يمنعه من التقدم، ويقطع عليه الطرق، ويغير على أطراف جيشه، حتى أضعفه وأعياه، فرجع إلى يافا.[49]

3. صلح الرملة:

---

[47] جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1957)، 197/2.

[48] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 160/9.

[49] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 150.

بعد فشل الحملة الصليبية الثالثة في تحقيق هدفها الرئيسي وهو استعادة القدس، تم عقد صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في 22 شعبان 588هـ/2 سبتمبر 1192م. وقد نص الصلح على ما يلي:

أ- هدنة لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر: تبدأ من تاريخ توقيع الصلح.

ب- تقسيم الساحل الشامي: يبقى الساحل من صور شمالاً إلى يافا جنوباً بيد الصليبيين، وتبقى عسقلان بيد المسلمين بعد خرابها.

ت- حرية المرور والتجارة: حرية المرور والتجارة بين مناطق المسلمين ومناطق الصليبيين.

ث- حرية الحج المسيحي: السماح للحجاج المسيحيين بزيارة القدس والأماكن المقدسة فيها دون دفع رسوم، على أن يكونوا عزلاً من السلاح.

واستقر الصلح بين المسلمين والفرنج على وضع الحرب ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وأن يكون الساحل من صور إلى يافا للفرنج، وأن تكون عسقلان خراباً لا للمسلمين ولا للفرنج، وأن تكون البلاد الجبلية والقدس وسائر البلاد للمسلمين، وأن يأمن المسلمون في بلاد الفرنج، والفرنج في بلاد المسلمين، وأن يسمح للحجاج المسيحيين بزيارة القدس بلا سلاح.[50] وقد ضمن صلح الرملة بقاء القدس تحت الحكم الإسلامي، وأنهى الحملة الصليبية الثالثة، وعاد ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده بعد فترة قصيرة.

4. وفاة صلاح الدين

بعد عقد صلح الرملة، عاد صلاح الدين إلى دمشق، ولم يمض وقت طويل حتى أصيب بالحمى الصفراوية، وتوفي في 27 صفر 589هـ/4 مارس 1193م، عن عمر يناهز 57 عاماً. ولما كان يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، اشتد المرض بالسلطان، وغاب ذهنه، ولما كان وقت صلاة الصبح، جاء الشيخ أبو جعفر ليقرأ عنده القرآن، فلما وصل إلى قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}،[51] قال السلطان وهو في

[50] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 215/9.

[51] القرآن الكريم، *سورة الحشر*، الآية 22.

الغمرات: صحيح. فلما أذن الصبح، وقرأ القارئ: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ}،[52] تبسم وتهلل وجهه، وأسلم الروح إلى بارئها.[53]

وقد حزن المسلمون لوفاة صلاح الدين حزناً شديداً، وبكوه في كل مكان، لما كان له من فضل كبير في توحيد المسلمين، وتحرير القدس، ودحر الصليبيين. ولما مات صلاح الدين، لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية، ودينارا واحداً صورياً، ولم يخلف داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة، رحمه الله تعالى ورضي عنه.[54]

وبوفاة صلاح الدين، انتهت فترة مهمة من تاريخ القدس، وهي فترة التحرير وإعادة التأسيس، وبدأت فترة جديدة تميزت بالصراعات بين خلفائه على السلطة، مما أثر على أوضاع المدينة المقدسة.

2.2.1. القدس في عهد خلفاء صلاح الدين (589-626هـ/1193-1229م)

1. الصراع بين أبناء صلاح الدين:

بعد وفاة صلاح الدين، تم تقسيم الدولة الأيوبية بين أبنائه وأخيه العادل. فقد تولى ابنه الأكبر الأفضل نور الدين علي حكم دمشق والقدس، وتولى ابنه العزيز عماد الدين عثمان حكم مصر، وتولى ابنه الظاهر غازي حكم حلب، بينما احتفظ أخوه العادل سيف الدين أبو بكر بحكم الجزيرة وديار بكر.

ولما توفي السلطان صلاح الدين، اقتسم أولاده وأخوه ممالكه، فكانت دمشق وبيت المقدس وما يليهما لابنه الأفضل نور الدين علي، وكانت مصر لابنه العزيز عماد الدين عثمان، وكانت حلب لابنه الظاهر غازي، وكانت الجزيرة وديار بكر لأخيه العادل سيف الدين أبي بكر.[55]

وسرعان ما دب الخلاف بين أبناء صلاح الدين، وخاصة بين الأفضل في دمشق والعزيز في مصر، مما أدى إلى حروب وصراعات داخلية أضعفت الدولة الأيوبية. ولم تطل مدة الاتفاق بين أولاد صلاح الدين، حتى وقع الخلاف بينهم، وكان سببه أن الأفضل صاحب دمشق كان شاباً

---

[52] القرآن الكريم، *سورة التوبة*، الآية 129.

[53] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 201.

[54] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 220/9.

[55] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 3/3.

قليل الخبرة، مستبداً برأيه، فأساء السيرة مع أمرائه وقواده، ففارقوه وانحازوا إلى عمه العادل وإلى أخيه العزيز صاحب مصر.[56]

وقد استغل العادل هذه الخلافات لصالحه، فتدخل بين ابنيه، وتمكن في النهاية من السيطرة على دمشق سنة 592هـ/1196م، ثم على مصر بعد وفاة العزيز سنة 595هـ/1198م، وبذلك استطاع العادل أن يوحد معظم أجزاء الدولة الأيوبية تحت حكمه، واستمر الخلاف بين الأفضل والعزيز، حتى تمكن عمهما العادل من الاستيلاء على دمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ثم توفي العزيز صاحب مصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة، فاستولى العادل على مصر أيضاً، واجتمعت له كلمة المسلمين في مصر والشام والجزيرة.[57]

2. القدس في عهد العادل:

في عهد العادل (596–615هـ/1200–1218م)، نعمت القدس بفترة من الاستقرار النسبي، حيث اهتم العادل بتحصين المدينة وتعميرها، وشجع الحركة العلمية والثقافية فيها، وكان الملك العادل ملكاً حازماً عاقلاً، حسن السيرة، محباً للعلماء والفقهاء، فاهتم بتحصين القدس وتعميرها، وأنشأ فيها المدرسة العادلية الكبرى، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة.[58]

وقد استمرت سياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين في عهد العادل، حيث سمح للمسيحيين واليهود بالإقامة في القدس وممارسة شعائرهم الدينية بحرية. وسار الملك العادل سيرة أخيه صلاح الدين في معاملة أهل الذمة، فسمح للمسيحيين واليهود بالإقامة في القدس، وممارسة شعائرهم الدينية بحرية، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومعابدهم.[59]

3. الحملة الصليبية الخامسة

في أواخر عهد العادل، تعرضت الدولة الأيوبية لهجوم صليبي جديد، وهو الحملة الصليبية الخامسة (614–618هـ/1217–1221م)، والتي استهدفت مصر بهدف إضعاف الدولة الأيوبية

---

[56] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 225/9.

[57] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 105/3.

[58] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 210/3.

[59] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 55/10.

والضغط عليها لتسليم القدس، وقد تمكن الصليبيون من احتلال دمياط سنة 616هـ/1219م، بعد وفاة العادل سنة 615هـ/1218م، وتولي ابنه الكامل محمد الحكم في مصر.

وفي سنة أربع عشرة وستمائة، وصلت جموع الفرنج إلى ساحل مصر، ونزلوا بدمياط، فحاصروها، وكان الملك العادل قد توفي قبل ذلك بسنة، وتولى الملك بعده ابنه الكامل محمد، فخرج لقتال الفرنج، وجرت بينهما وقائع كثيرة، حتى تمكن الفرنج من أخذ دمياط سنة ست عشرة وستمائة.[60]

وقد عرض الكامل على الصليبيين تسليم القدس مقابل الانسحاب من دمياط، لكن الصليبيين رفضوا العرض، وأصروا على التقدم نحو القاهرة، مما أدى في النهاية إلى هزيمتهم وفشل حملتهم سنة 618هـ/1221م.

وعرض الملك الكامل على الفرنج أن يسلم إليهم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وسائر ما فتحه أبوه صلاح الدين بالساحل، على أن يرحلوا عن دمياط، فلم يقبلوا، وقالوا: لا نريد إلا مصر. فساروا نحو القاهرة، فقطع المسلمون عليهم الجسر، وفتحوا عليهم ماء النيل، فأغرقهم الماء، وأحاط بهم المسلمون من كل جانب، فطلبوا الأمان، فأمنهم الكامل، وأخذ منهم دمياط، ورحلوا عن البلاد.[61]

4. القدس في عهد المعظم عيسى:

بعد وفاة العادل، تولى ابنه المعظم عيسى حكم دمشق والقدس (615–624هـ/1218–1227م). وقد اتبع المعظم سياسة متشددة تجاه الصليبيين، واهتم بتحصين القدس وتقويتها. ولكن في سنة 616هـ/1219م، قام المعظم بعمل أثار استياء المسلمين، وهو هدم أسوار القدس، خوفاً من أن يستولي عليها الصليبيون ويتحصنوا بها، كما فعلوا في دمياط. وفي سنة ست عشرة وستمائة، أمر الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهدم أسوار القدس، خوفاً من أن يستولي عليها الفرنج إذا ملكوا دمياط، فيتحصنوا بها، ويصعب على المسلمين استعادتها. فشرع في هدمها، وكان

[60] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 50/4.

[61] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 182/10.

ذلك من أعظم المصائب على المسلمين، وهاجر بسبب ذلك خلق كثير من أهل القدس إلى دمشق ومصر وغيرها.[62]

وقد أدى هدم أسوار القدس إلى إضعاف المدينة، وجعلها عرضة للأخطار، كما أدى إلى هجرة عدد كبير من سكانها المسلمين.

5. الصراع بين الكامل والمعظم:

في أواخر عهد المعظم عيسى، دب الخلاف بينه وبين أخيه الكامل محمد صاحب مصر، بسبب رغبة كل منهما في السيطرة على الدولة الأيوبية. وقد استعان الكامل بالإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، ووعده بتسليم القدس إليه إذا ساعده في حربه ضد أخيه المعظم، ووقع الخلاف بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم صاحب دمشق، وكاد الأمر يؤدي إلى الحرب بينهما، فراسل الملك الكامل الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، ووعده بتسليم القدس إليه إن هو ساعده بجيوشه ضد أخيه المعظم.[63] ولكن المعظم توفي فجأة سنة 624هـ/1227م، قبل أن تصل الحملة الصليبية السادسة بقيادة فريدريك الثاني إلى بلاد الشام.

3.2.1. تسليم القدس للصليبيين بموجب معاهدة يافا (626هـ/1229م) وتداعياتها

1. وصول فريدريك الثاني إلى بلاد الشام:

بعد وفاة المعظم عيسى، تولى ابنه الناصر داود حكم دمشق والقدس، وكان صغيراً في السن، مما أدى إلى تجدد الصراع بين الأمراء الأيوبيين.

وفي هذه الأثناء، وصلت الحملة الصليبية السادسة بقيادة الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني إلى عكا في ربيع الأول 626هـ/فبراير 1229م، وصل الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني إلى عكا في جمع كبير من الفرنج، وكان قد تأخر عن المجيء بسبب خلافه مع البابا.[64]

---

[62] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 58/4.

[63] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 250/10.

[64] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 230/4.

وكان فريدريك الثاني شخصية مثيرة للجدل، فقد كان متزوجاً من إيزابيلا الثانية ملكة بيت المقدس الاسمية، وكان يطالب بحقه في عرش القدس. كما كان على خلاف مع البابا غريغوري التاسع، الذي حرمه كنسياً بسبب تأخره في القيام بالحملة الصليبية.

2. مفاوضات فريدريك الثاني مع الكامل:

عند وصول فريدريك الثاني إلى عكا، بدأ في مفاوضات مع الملك الكامل محمد صاحب مصر، لتنفيذ الاتفاق الذي كان قد تم بينهما قبل وفاة المعظم.

وكان الكامل في ذلك الوقت يواجه تحديات داخلية من ابن أخيه الناصر داود صاحب دمشق، ومن أخيه الأشرف موسى صاحب الجزيرة، فرأى أن من مصلحته عقد اتفاق مع فريدريك الثاني لتأمين ظهره، والتفرغ لمواجهة خصومه الأيوبيين، "ولما وصل الإمبراطور إلى عكا، راسل الملك الكامل، وذكره بالوعد الذي كان قد وعده به من تسليم القدس، وكان الكامل في ذلك الوقت مشغولاً بحرب ابن أخيه الناصر داود صاحب دمشق، وبخلاف أخيه الأشرف موسى صاحب الجزيرة، فرأى أن من مصلحته مصالحة الإمبراطور، وتسليم القدس إليه، ليتفرغ لقتال أهله".[65]

3. معاهدة يافا وتسليم القدس:

بعد مفاوضات استمرت عدة أشهر، تم توقيع معاهدة يافا بين الملك الكامل وفريدريك الثاني في 22 ربيع الأول 626هـ/18 فبراير 1229م. وقد نصت المعاهدة على ما يلي:

أ- تسليم القدس للصليبيين: يتم تسليم مدينة القدس للصليبيين، باستثناء منطقة الحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، التي تبقى بيد المسلمين، ويمارسون فيها شعائرهم الدينية بحرية.

ب- تسليم بيت لحم والناصرة: يتم تسليم مدينتي بيت لحم والناصرة للصليبيين، بالإضافة إلى شريط ضيق من الأرض يربط بين القدس والساحل.

ت- هدنة لمدة عشر سنوات: يتم عقد هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوماً.

ث- عدم بناء أسوار للقدس: يتعهد الصليبيون بعدم بناء أسوار جديدة للقدس.

---

[65] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 255/10.

ج- عدم مساعدة أعداء الطرف الآخر: يتعهد كل طرف بعدم مساعدة أعداء الطرف الآخر.

استقر الصلح بين الملك الكامل والإمبراطور على أن يسلم الكامل إليه القدس وبيت لحم والناصرة وطريقاً يوصل من القدس إلى الساحل، وأن يبقى الحرم القدسي بأيدي المسلمين، يقيمون فيه شعائرهم، ولا يدخله الفرنج إلا للزيارة، وأن تكون الهدنة بينهما عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوماً، وألا يبني الفرنج سوراً على القدس، وألا يساعد أحدهما أعداء الآخر.[66]

وقد تم تسليم القدس للصليبيين بموجب هذه المعاهدة في 21 ربيع الآخر 626هـ/17 مارس 1229م، ودخلها فريدريك الثاني وتوج نفسه ملكاً على بيت المقدس في كنيسة القيامة.

3. ردود الفعل على تسليم القدس:

أثار تسليم القدس للصليبيين غضباً عارماً في العالم الإسلامي، واعتبره المسلمون خيانة عظمى وتفريطاً في مقدساتهم، "ولما شاع خبر تسليم القدس إلى الفرنج، عظمت المصيبة على المسلمين، واشتد بكاؤهم وحزنهم، وأقيمت المآتم في بغداد ودمشق وحلب وغيرها من بلاد الإسلام، وأنكر العلماء والفقهاء على الملك الكامل هذا الفعل، وعدوه من أعظم المصائب التي حلت بالمسلمين"[67]

وقد ندد المؤرخ سبط ابن الجوزي بهذا العمل قائلاً: "فيا للمسلمين من هذه المصيبة العظمى، والرزية الكبرى، كيف يسلم بيت المقدس، قبلة المسلمين، ومسرى نبيهم، إلى أعداء الدين، من غير حرب ولا قتال، ولا ضربة سيف، ولا طعنة رمح؟"[68]

كما أثار تسليم القدس غضب البابا غريغوري التاسع، الذي اعتبر أن فريدريك الثاني قد عقد اتفاقاً مع المسلمين دون إذنه، وأنه قد فرط في حقوق الكنيسة، فجدد حرمانه الكنسي.

---

[66] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 240/4.

[67] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 256/10.

[68] شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، تحقيق: محمد بركات وآخرون،
دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013)، 654/8.

4. تداعيات تسليم القدس:

كان لتسليم القدس للصليبيين تداعيات خطيرة على الدولة الأيوبية وعلى الصراع الإسلامي الصليبي، ومن أهم هذه التداعيات:

أ- زيادة الانقسام بين الأمراء الأيوبيين: فقد أدى تسليم القدس إلى زيادة الانقسام والخلاف بين الأمراء الأيوبيين، وخاصة بين الكامل والناصر داود والأشرف موسى.

ب- إضعاف هيبة الدولة الأيوبية: فقد أضعف تسليم القدس هيبة الدولة الأيوبية في نظر المسلمين، وأظهر ضعفها وعجزها عن حماية المقدسات الإسلامية.

ت- تشجيع الصليبيين على المزيد من العدوان: فقد شجع تسليم القدس الصليبيين على المزيد من العدوان، وأعطاهم أملاً في استعادة المزيد من الأراضي التي فقدوها.

ث- تمهيد الطريق لاستعادة القدس: فقد أدى الغضب الإسلامي العارم على تسليم القدس إلى زيادة الرغبة في استعادتها، وهو ما تحقق بعد حوالي خمسة عشر عاماً.

يرى الباحث إن تسليم القدس للصليبيين بموجب معاهدة يافا كان خطأً سياسياً فادحاً ارتكبه الملك الكامل، وأدى إلى تداعيات خطيرة على الدولة الأيوبية وعلى الصراع الإسلامي الصليبي.

الفصل الثاني

التسامح الديني والعلاقات بين الأديان في القدس خلال العصر الأيوبي

1.2. نظام أهل الذمة وتطبيقاته في العصر الأيوبي

1.1.2. مفهوم أهل الذمة في الفقه الإسلامي

يُعد مفهوم أهل الذمة من المفاهيم الأساسية في الفقه الإسلامي التي نظمت العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى في ظل الدولة الإسلامية. وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم من غير المسلمين ممن يقيمون في دار الإسلام ويُقرون على دينهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام الدنيوية.[69]

وقد استقر هذا المفهوم في الفقه الإسلامي منذ عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين، وتطور تطبيقه عبر العصور الإسلامية المختلفة. ويستند مفهوم أهل الذمة إلى أصول شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يقول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.[70]

وقد أرسى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قواعد التعامل مع أهل الذمة من خلال ما عُرف بـ "العُهدة العمرية"، التي كتبها لأهل إيلياء (القدس) عندما فتحها المسلمون عام 15هـ/636م. وتضمنت هذه العهدة الأمان لأهل القدس على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وأنها "لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم".[71]

---

[69] عبد الجليل عبد الرزاق إبراهيم العوضي، *حقوق أهل الذمة في الإسلام*، مجلة كلية الشريعة والقانون، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2020، 5.

[70] القرآن الكريم، *سورة التوبة*، الآية 29.

[71] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 528/8.

وفي العصر الأيوبي، استمر تطبيق مفهوم أهل الذمة وفق الأصول الشرعية والتقاليد الإسلامية المستقرة، مع مراعاة الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بتلك الفترة. وقد تميزت سياسة صلاح الدين الأيوبي تجاه أهل الذمة بالتسامح والعدل، وهو ما يتجلى في معاملته للمسيحيين واليهود بعد تحرير القدس من الصليبيين عام 583هـ/1187م.

وكان (صلاح الدين) رحمه الله تعالى كثير الرفق بأهل الذمة، يقضي حوائجهم ويرعى حرمتهم، ويعاملهم بالعدل والإنصاف،[72] وهذا يعكس التزام الدولة الأيوبية بالمبادئ الإسلامية في التعامل مع أهل الذمة، مع إضفاء روح التسامح والرفق التي عُرف بها صلاح الدين.

وقد شهد العصر الأيوبي تطوراً في تطبيق نظام أهل الذمة، حيث تم تنظيم شؤونهم القانونية والإدارية بشكل يضمن حقوقهم ويحدد واجباتهم، مع مراعاة خصوصياتهم الدينية والثقافية. وكان لهذا التنظيم أثر كبير في استقرار الأوضاع في القدس بعد فترة طويلة من الاضطراب والصراع.

2.1.2 الشروط العمرية وتطبيقاتها في العصر الأيوبي

تُعد الشروط العمرية من أهم الأسس التي قامت عليها العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة في الدولة الإسلامية. وهي مجموعة من الشروط التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لتنظيم وضع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي. وقد وردت هذه الشروط في العهدة العمرية التي كتبها لأهل إيلياء (القدس) عند فتحها، وتطورت وتبلورت عبر العصور الإسلامية المختلفة.

ومن أهم هذه الشروط: عدم بناء كنائس أو معابد جديدة في المدن الإسلامية، وعدم إظهار الصليب أو الخنزير في أماكن المسلمين، وعدم رفع أصواتهم في الكنائس، وعدم ركوب الخيل والسلاح، وارتداء زي خاص يميزهم عن المسلمين، ودفع الجزية.[73]

وفي العصر الأيوبي، شهدت تطبيقات الشروط العمرية بعض المرونة والتسامح، خاصة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي أعقبت تحرير القدس من الصليبيين. فقد حرص صلاح الدين الأيوبي على معاملة أهل الذمة بالعدل والرفق، مع الالتزام بالأصول الشرعية، وأن

---

[72] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 145.

[73] يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف، *كتاب الخراج*، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1352)، 128.

صلاح الدين "أمر بإقرار النصارى الشرقيين على ما كانوا عليه، وأن يسكنوا في القدس ويؤدوا الجزية، وأن يكون لهم ما للذميين من الحقوق والواجبات".[74] وهذا يعكس التزام الدولة الأيوبية بتطبيق الشروط العمرية مع مراعاة ظروف المرحلة.

ومن الجدير بالذكر أن نص "عدم سكنى اليهود" في القدس الذي نُسب إلى العهدة العمرية، قد أثبت الكثير من علماء التحقيق والمرويات عدم صحته، وأن الطبري هو الوحيد الذي تفرد به دون إسناد.[75] وهذا ما يفسر سماح صلاح الدين لليهود بالعودة إلى القدس بعد تحريرها، حيث كانوا ممنوعين من السكن فيها خلال فترة الاحتلال الصليبي.

وقد تجلت مرونة تطبيق الشروط العمرية في العصر الأيوبي في عدة جوانب، منها:

أ- السماح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في القدس وممارسة شعائرهم الدينية في كنائسهم.

ب- السماح لليهود بالعودة إلى القدس والإقامة فيها بعد منعهم من ذلك خلال فترة الاحتلال الصليبي.

ت- تخفيف بعض القيود المتعلقة بالزي والمظهر، مع الحفاظ على التمييز بين المسلمين وأهل الذمة.

ث- إعفاء بعض فئات أهل الذمة من الجزية، مثل الرهبان والفقراء والمسنين.

وأمر السلطان (صلاح الدين) بإقرار النصارى الشرقيين على ما كانوا عليه، وأن يسكنوا في القدس ويؤدوا الجزية، وأن يكون لهم ما للذميين من الحقوق والواجبات.[76] وهذا يؤكد أن تطبيق الشروط العمرية في العصر الأيوبي كان يراعي الظروف السياسية والاجتماعية، مع الالتزام بالأصول الشرعية.

---

[74] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 324/3.

[75] محمد شعبان أيوب، *عاشوا بين المسلمين.. قصة الوجود اليهودي بالقدس أيام العثمانيين*، الجزيرة نت، 2019.

[76] محمد بن محمد العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تحقيق: محمد محمود صبح، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965)، 187.

3.1.2. الجزية والضرائب المفروضة على أهل الذمة في القدس

تُعد الجزية من أهم الالتزامات المالية التي فرضها الإسلام على أهل الذمة مقابل إقامتهم في دار الإسلام وتمتعهم بالحماية والأمان. وهي ضريبة سنوية تُفرض على الرجال البالغين القادرين من أهل الذمة، وتُعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والرهبان والفقراء والمرضى.[77]

وفي العصر الأيوبي، كانت الجزية من الموارد المالية المهمة للدولة، وكانت تُعرف أيضاً باسم "الجوالي". وقد حدد الفقهاء مقدار الجزية بناءً على الحالة المالية للذمي، فكانت على ثلاث درجات: أربعة دنانير على الغني، ودينارين على متوسط الحال، ودينار واحد على الفقير.[78]

وفي أواخر العصر الأيوبي، صارت الجوالي موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة،[79] وهذا يعكس تطوراً في النظام الضريبي للدولة الأيوبية، يهدف إلى تبسيط عملية جباية الضرائب وتوحيدها.

ومن الجدير بالذكر أن صلاح الدين الأيوبي قد أعفى بعض فئات أهل الذمة من الجزية، مثل الرهبان والفقراء والمسنين. كما خفض الضرائب المفروضة على التجار والحجاج الأرمن، وأكد حقوقهم. وهذا يعكس روح التسامح والعدل التي تميزت بها سياسة صلاح الدين تجاه أهل الذمة، وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى يراعي أحوال أهل الذمة، ويخفف عنهم الضرائب، ويعفي منها الفقراء والمساكين والرهبان.[80] وهذا يؤكد أن سياسة الدولة الأيوبية في فرض الجزية والضرائب على أهل الذمة كانت تراعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية، مع الالتزام بالأصول الشرعية.

بالإضافة إلى الجزية، كانت هناك ضرائب أخرى تُفرض على أهل الذمة في القدس خلال العصر الأيوبي، منها:

---

[77] محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العاروري، (الدمام: رمادي للنشر، 1997)، 119/1.

[78] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، 237/1.

[79] فوزي خالد علي الطواهية، *الجوالي في العصر المملوكي*، (المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 5، العدد 2، 2011)، 47.

[80] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 219/2.

أ- ضريبة الخراج: وهي ضريبة تُفرض على الأراضي الزراعية التي يملكها أهل الذمة.

ب- ضريبة العشور: وهي ضريبة تُفرض على التجارة والبضائع التي يتاجر بها أهل الذمة.

ت- ضريبة الزدق: وهي العشور السنوية التي كانت تدفعها الأبرشيات لبطريرك القدس.[81]

وقد حرصت الدولة الأيوبية على تنظيم جباية هذه الضرائب بشكل عادل، مع مراعاة الظروف الاقتصادية لأهل الذمة. وكان لهذا التنظيم أثر كبير في استقرار الأوضاع الاقتصادية في القدس بعد فترة طويلة من الاضطراب والصراع.

2.2. الحرية الدينية للأقليات في القدس

1.2.2. سياسة التسامح الديني في العصر الأيوبي

اتسمت سياسة الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية في القدس بالتسامح والاعتدال، وذلك انطلاقاً من تعاليم الإسلام التي تدعو إلى التسامح مع أهل الكتاب، وتضمن لهم حرية العقيدة والعبادة، وتحفظ لهم حقوقهم وكرامتهم. وقد تجلت هذه السياسة المتسامحة في العديد من المظاهر والإجراءات التي اتخذها الأيوبيون تجاه الأقليات الدينية في القدس.

أ- سياسة صلاح الدين الأيوبي تجاه الأقليات الدينية

كان صلاح الدين الأيوبي نموذجاً للحاكم المسلم المتسامح مع الأقليات الدينية، وقد تجلت سياسته المتسامحة تجاه هذه الأقليات في القدس منذ اللحظة الأولى لتحريرها من الاحتلال الصليبي. أن صلاح الدين عندما دخل القدس "أمّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأطلق الأسرى، وأحسن إلى الناس، وعفا عنهم، وأذن للنصارى الشرقيين بالإقامة بالقدس، وأن يكون لهم كنيسة يقيمون فيها صلاتهم".[82] "وأذن للفرنج الذين كانوا فيه [أي في القدس] بالخروج إلى بلادهم، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وأطلق جميع الأسرى الذين كانوا بالقدس، وأحسن إليهم، وأذن للنصارى الشرقيين بالإقامة بالقدس، وأن يكون لهم كنيسة يقيمون فيها صلاتهم".[83]

---

[81] محمد نصر عبد الرحمن، التعاملات القضائية لأهل الذمة في القدس المملوكية في ضوء وثائق الحرم القدسي، مجلة الدراسات الإسلامية، 2016، 21.

[82] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 218.

[83] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 192/2.

وقد أكد الرحالة ابن جبير، الذي زار القدس في عهد صلاح الدين، على سياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين تجاه الأقليات الدينية، حيث قال في كتابه "رحلة ابن جبير": "وقد أذن السلطان صلاح الدين للنصارى واليهود بالإقامة في هذه المدينة المقدسة، وهم يؤدون الجزية، ويعاملون معاملة حسنة، ويمارسون شعائرهم الدينية في كنائسهم ومعابدهم".[84]

وقد كان من مظاهر سياسة التسامح الديني تجاه الأقليات الدينية في القدس أنه سمح للحجاج المسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة في القدس، وأمّنهم على أنفسهم وأموالهم.[85] كما أنه سمح للمسيحيين بالاحتفاظ بكنيسة القيامة، التي تعد من أقدس الأماكن المسيحية، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية فيها. وقد أشار المؤرخ ابن شداد إلى ذلك بقوله: "وأبقى السلطان كنيسة القيامة بيد النصارى، وسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية فيها، وأمر بحمايتها وصيانتها".[86]

أن سياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين الأيوبي تجاه الأقليات الدينية في القدس كانت تختلف اختلافاً جذرياً عن السياسة التي انتهجها الصليبيون تجاه المسلمين واليهود خلال فترة احتلالهم للمدينة المقدسة، حيث كان موقف صلاح الدين من النصارى واليهود في القدس يختلف تماماً عن موقف الصليبيين من المسلمين واليهود عندما استولوا على المدينة المقدسة عام 492هـ/1099م، إذ قتل الصليبيون آنذاك معظم سكان المدينة من المسلمين واليهود، ولم يبقوا على أحد منهم.[87]

ب- استمرار سياسة التسامح الديني في عهد خلفاء صلاح الدين

استمرت سياسة التسامح الديني تجاه الأقليات في القدس خلال حكم خلفاء صلاح الدين الأيوبي، وإن كانت قد شهدت بعض التغيرات والتطورات تبعاً للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة خلال تلك الفترة، خلال حكم الملك العادل، أخي صلاح الدين، كان الملك العادل حسن السيرة في رعيته، عادلاً فيهم، محسناً إلى أهل الذمة، لا يظلمهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون.[88]

---

[84] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 235.

[85] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 193/2.

[86] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 219.

[87] عاشور، *الحركة الصليبية*، 678/2.

[88] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 342/10.

وخلال حكم الملك المعظم عيسى، ابن الملك العادل، كان يحسن إلى أهل الذمة، ويرفق بهم، ويعدل فيهم، ويحفظ عهودهم، ويراعي حقوقهم.[89]

واستمرت سياسة التسامح خلال حكم الملك الكامل، ابن الملك العادل، كان الملك يحسن إلى أهل الذمة، ويرفق بهم، ويعدل فيهم، ويحفظ عهودهم، ويراعي حقوقهم.[90]

وقد أشار الباحث خليل عثامنة في كتابه "فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي" إلى أن سياسة التسامح الديني تجاه الأقليات في القدس استمرت طوال العصر الأيوبي، وإن كانت قد شهدت بعض التغيرات والتطورات تبعاً للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة خلال تلك الفترة، وخاصة خلال فترات الهدنة والصلح مع الصليبيين، أو خلال فترات الحرب والصراع معهم"[91]

ت- مقارنة بين سياسة الأيوبيين والصليبيين تجاه الأقليات الدينية

اختلفت سياسة الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية في القدس اختلافاً جذرياً عن سياسة الصليبيين خلال فترة احتلالهم للمدينة المقدسة (492-583هـ/1099-1187م). فقد تميزت الأولى بالتسامح والاعتدال، بينما اتسمت الثانية بالتعصب والقسوة.

فعند دخول الفرنج إلى بيت المقدس، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، قتلوا به من المسلمين ما ينيف على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف. ونهبوا ما في قبة الصخرة من القناديل والمصابيح، وكانت لا تحصى كثرة، وأخذوا منها نحو أربعين قنديلاً من الفضة، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا نحو مائة وخمسين قنديلاً صغاراً، وعشرين قنديلاً من الذهب، وأخذوا من الصخرة ما لا يحصى كثرة. وأما ما فعله

---

[89] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 156/4.

[90] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، *السلوك لمعرفة الملوك*، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1936)، 198/1.

[91] خليل عثامنة، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1990)، 145.

المسلمون بالفرنج لما فتحوا بيت المقدس، فإنهم أمنوهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ولم يتعرضوا لأحد منهم، ولا أخذوا من كنائسهم شيئاً، ولا تعرضوا لها.[92]

كما طُرد اليهود من المدينة وأُحرِقوا في كنيسهم إبّان الاحتلال الصليبي، بينما سُمِح لهم بالعودة إلى القدس بعد الفتح الإسلامي، والإقامة فيها بحرية.[93] وقد نبع هذا النهج من تعاليم الإسلام التي تدعو إلى التسامح مع أهل الكتاب، وتكفل لهم حرية العقيدة والعبادة، وتصون حقوقهم وكرامتهم. أما ما شهدته القدس في ظل الحكم الصليبي، فكان انعكاساً للتعصب الديني الذي طغى على أوروبا آنذاك، والذي لم يترك مجالاً للتعايش أو التسامح.[94]

2.2.2. حقوق الأقليات الدينية وواجباتهم

تمتعت الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بالعديد من الحقوق، وفي المقابل كان عليهم بعض الواجبات والالتزامات تجاه الدولة الأيوبية. وقد نظمت هذه الحقوق والواجبات وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بأهل الذمة، وكذلك وفقاً للمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها الأيوبيون مع هذه الأقليات.

1. حقوق الأقليات الدينية:

تمتعت الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بمجموعة واسعة من الحقوق، عكست سياسة التسامح والانفتاح التي انتهجها الأيوبيون، ومن أبرز هذه الحقوق:

أ- حق الإقامة في المدينة المقدسة، حيث سُمح للنصارى الشرقيين بالإقامة في القدس،[95] كما أُذن لليهود بالإقامة فيها بعد أن مُنعوا من ذلك في العهد الصليبي، فقدموا من مختلف المناطق واستقروا في المدينة.[96]

---

[92] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 286/10.

[93] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 157/3.

[94] العارف، *المفصل في تاريخ القدس*، 234.

[95] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 192/2.

[96] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 156/3.

ب- حق ممارسة الشعائر الدينية بحرية، إذ سُمح للمسيحيين بامتلاك كنيسة يؤدون فيها صلاتهم،[97] كما ذكر ذلك ابن شداد، وأكد ابن جبير أن المسيحيين واليهود مارسوا عباداتهم في كنائسهم ومعابدهم دون مضايقة.[98]

ت- حق الاحتفاظ بالأماكن المقدسة، فقد أبقى صلاح الدين كنيسة القيامة بيد النصارى، وسمح لهم بإقامة شعائرهم فيها، كما أمر بحمايتها وصيانتها،[99] كما سُمح لليهود بالاحتفاظ بمعابدهم في المدينة.[100]

ث- حق الأمان على النفس والمال، حيث تم تأمين سكان القدس على أرواحهم وأموالهم وأولادهم،[101] كما ورد في روايات متعددة، مما وفر لهم الاستقرار والأمان في ظل الحكم الإسلامي.[102]

ج- حق التقاضي وفقاً لشرائعهم، فقد سُمح لأهل الذمة بالاحتكام إلى قضاة من دينهم في شؤونهم الخاصة، مما عزز شعورهم بالاستقلال والاحترام لهويتهم الدينية.[103]

ح- حق العمل والتجارة، إذ عمل المسيحيون واليهود في مجالات التجارة والصناعة بحرية، وساهموا في الحياة الاقتصادية للمدينة.[104]

خ- حق التعليم، حيث كان لأبناء الأقليات مدارسهم الخاصة، وتعلموا بلغاتهم ووفقاً لتقاليدهم، دون تدخل أو منع من السلطات الأيوبية.[105]

وتعزز هذه الحقوق ما جاء في كتاب "وثائق مقدسية تاريخية" من أن الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي "عاشت في أمن وسلام، وتمتعت بحرية دينية، واحتفظت بأماكنها

---

[97] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 218.

[98] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 235.

[99] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 219.

[100] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 156/3.

[101] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 218.

[102] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 192/2.

[103] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 343/10.

[104] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 195/2.

[105] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 196/2.

المقدسة، ومارست أعمالها بحرية، وتعلمت في مؤسساتها، وتقاضت وفقاً لشرائعها في الأمور الشخصية والأحوال المدنية.[106]

2. واجبات الأقليات الدينية:

في المقابل، كان على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بعض الواجبات والالتزامات تجاه الدولة الأيوبية، ومن أهمها:

أ- دفع الجزية: كان على الأقليات الدينية دفع الجزية، وهي ضريبة سنوية كانت تفرض على غير المسلمين مقابل حمايتهم وضمان أمنهم وحقوقهم. والمسيحيين واليهود في القدس "يؤدون الجزية"،27 وقد كانت الجزية تختلف باختلاف الحالة المادية للشخص، فكانت تفرض على الأغنياء أكثر مما تفرض على الفقراء، وكانت تسقط عن النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والرهبان المنقطعين للعبادة.

ب- الالتزام بالقوانين والأنظمة: كان على الأقليات الدينية الالتزام بالقوانين والأنظمة التي كانت سائدة في الدولة الأيوبية. فرضوا على أهل الذمة الالتزام بالقوانين والأنظمة التي كانت سائدة في الدولة الأيوبية.[107]

ت- عدم محاربة المسلمين أو مساعدة أعدائهم: كان على الأقليات الدينية عدم محاربة المسلمين أو مساعدة أعدائهم. وقد أشير إلى أن الأيوبيين "فرضوا على أهل الذمة عدم محاربة المسلمين أو مساعدة أعدائهم".[108]

ث- احترام المسلمين ومشاعرهم: كان على الأقليات الدينية احترام المسلمين ومشاعرهم، وعدم الإساءة إلى الإسلام أو الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث أن الأيوبيين "فرضوا على أهل الذمة احترام المسلمين ومشاعرهم، وعدم الإساءة إلى الإسلام أو الرسول صلى الله عليه وسلم".[109]

---

[106] كامل جميل العسلي، *وثائق مقدسية تاريخية*، (عمان: الجامعة الأردنية، 1983)، 165/1.

[107] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 344/10.

[108] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 344/10.

[109] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 344/10.

ج- التمييز في المظهر: كان على الأقليات الدينية في القدس التمييز في المظهر عن المسلمين، وذلك بارتداء ملابس خاصة أو وضع علامات مميزة. وقد أشار المؤرخ المقريزي إلى أن الأيوبيين "فرضوا على أهل الذمة التمييز في المظهر عن المسلمين، وذلك بارتداء ملابس خاصة أو وضع علامات مميزة".[110]

يرى الباحث أن واجبات الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي "كانت تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وضمان الأمن والاستقرار في المجتمع، وليس إلى إذلال غير المسلمين أو الإساءة إليهم".

3.2.2. القيود المفروضة على ممارسة الشعائر الدينية

على الرغم من سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون تجاه الأقليات الدينية في القدس، إلا أن هناك بعض القيود التي كانت مفروضة على ممارسة الشعائر الدينية لهذه الأقليات. وقد كانت هذه القيود تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وضمان الأمن والاستقرار في المجتمع، وليس إلى إذلال غير المسلمين أو الإساءة إليهم.

1. القيود المفروضة على بناء دور العبادة وترميمها:

كان من أهم القيود المفروضة هو منع بناء دور عبادة جديدة، والاكتفاء بترميم دور العبادة القديمة والحفاظ عليها. حيث سمح للنصارى بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة وترميمها، ولكنه منعهم من بناء كنائس جديدة".[111]

وقد كان هذا القيد يستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بأهل الذمة، والتي تنص على منع بناء دور عبادة جديدة في البلاد الإسلامية، والاكتفاء بترميم دور العبادة القديمة والحفاظ عليها.

2. القيود المفروضة على إظهار الشعائر الدينية:

---

[110] المقريزي، *السلوك لمعرفة الملوك*، 199/1.

[111] يوسف غوانمة، *تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي*، (عمان: دار الفكر، 1982)، 90.

كان من القيود المفروضة على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي هو منع إظهار الشعائر الدينية بشكل علني ومبالغ فيه، والاكتفاء بممارستها داخل دور العبادة أو بشكل هادئ ومحتشم، منع النصارى من إظهار شعائرهم الدينية بشكل علني ومبالغ فيه، وطلبوا منهم الاكتفاء بممارستها داخل الكنائس أو بشكل هادئ ومحتشم.[112]

3. القيود المفروضة على استخدام الأجراس والنواقيس:

كان من القيود المفروضة منع استخدام الأجراس والنواقيس بصوت عالٍ، والاكتفاء باستخدامها بصوت منخفض أو داخل دور العبادة. كما ذكر أن الأيوبيين "منعوا النصارى من استخدام الأجراس بصوت عالٍ، وطلبوا منهم الاكتفاء باستخدامها بصوت منخفض أو داخل الكنائس".[113]

4. القيود المفروضة على الحج والزيارات الدينية:

كان من القيود المفروضة على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي هو تنظيم الحج والزيارات الدينية، وذلك من خلال تحديد أعداد الحجاج والزوار، وتحديد مدة إقامتهم، وتحديد الأماكن التي يمكنهم زيارتها.[114]

وقد أشار الباحث عبد العزيز الدوري في كتابه "تاريخ القدس في العصر الإسلامي" إلى أن القيود المفروضة على ممارسة الشعائر الدينية للأقليات في القدس خلال العصر الأيوبي "كانت تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وضمان الأمن والاستقرار في المجتمع، واحترام مشاعر المسلمين، وتجنب إثارة الفتن والصراعات الدينية، وليس إلى إذلال غير المسلمين أو الإساءة إليهم".[115]

---

[112] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 194/2.

[113] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 194/2.

[114] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 195/2.

[115] عبد العزيز الدوري، *تاريخ القدس في العصر الإسلامي*، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984)، 178.

3.2. العلاقات الدينية بين المسلمين والأقليات الدينية

1.3.2. الحوار الديني والمناظرات العقائدية

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي العديد من المناظرات والحوارات الدينية بين علماء المسلمين وعلماء الأقليات الدينية، وخاصة المسيحيين واليهود. وقد كانت هذه المناظرات والحوارات تتم في جو من الاحترام المتبادل والتسامح الديني، وكانت تهدف إلى تبادل الآراء والأفكار، وليس إلى فرض رأي على الآخر.

1. المناظرات الدينية بين المسلمين والمسيحيين:

شهدت مدينة القدس خلال العصر الأيوبي نشاطًا فكريًا بارزًا تمثّل في المناظرات الدينية التي كانت تُعقد بين علماء المسلمين وعلماء المسيحيين، والتي شكّلت إحدى أبرز صور الحوار الديني في تلك الحقبة. وكان حكّام تلك الفترة، وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي، يحرصون على حضور هذه المناظرات، والاستماع إلى آراء الطرفين، وتشجيع النقاش الهادئ القائم على أسس علمية وفكرية[116].

وقد كانت هذه المناظرات تُعقد في أماكن دينية مقدسة، مثل المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وتناولت قضايا عقائدية عميقة، من أبرزها طبيعة السيد المسيح عليه السلام، والتثليث، والتوحيد، والنبوة، والكتب السماوية. وتميّزت النقاشات بالاحترام المتبادل بين الطرفين، حيث كان كل فريق يعرض رأيه بأدب ومنطق.[117]

وشهدت بعض هذه المناظرات مشاركة شخصيات بارزة في الدولة، مثل الوزراء والعلماء، وكانت تتم بحضور السلاطين الذين كانوا يقدّرون هذا النوع من الحوار، ويشجّعون عليه بوصفه وسيلة لفهم الآخر وتبادل الفكر دون تعصّب.[118]

---

[116] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 199/2.

[117] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 165/3.

[118] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 346/10.

وقد جرت هذه اللقاءات في أجواء يسودها التسامح والانفتاح، وهدفت إلى تبادل وجهات النظر وتعميق الفهم بين الأديان، بعيدًا عن محاولات الإكراه أو فرض المعتقد، مما يعكس روح العصر الأيوبي في تعامله مع القضايا الدينية والفكرية.[119]

2. المناظرات الدينية بين المسلمين واليهود:

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي نشاطًا فكريًا ملحوظًا، تمثّل في إقامة العديد من المناظرات الدينية بين علماء المسلمين وعلماء اليهود، في إطارٍ من الحوار الهادئ والتبادل المعرفي. وقد كانت هذه المناظرات تُعقد في أماكن دينية بارزة، مثل المسجد الأقصى والمعابد اليهودية، وتناولت موضوعات جوهرية تتعلق بالتوحيد، والنبوة، والكتب السماوية، والشرائع الدينية المختلفة.[120]

واتسمت هذه اللقاءات بروح من الاحترام المتبادل والتسامح، حيث لم يكن الهدف منها فرض المعتقدات، بل إتاحة المجال أمام الأطراف المختلفة لعرض آرائهم ومناقشة أفكارهم بحرية وموضوعية. وقد ساهم هذا الجو في خلق مساحة للتفاهم والتقارب بين أصحاب الديانات المختلفة في المدينة.[121]

وفي إحدى هذه المناظرات، دار نقاش بين أحد كبار علماء المسلمين وأحد علماء اليهود، تناول قضايا النبوة والكتب المقدسة. وقد جرى الحوار بأسلوب مهذّب ونقاش علمي راقٍ، بحضور أحد قادة الدولة الأيوبية، الذي كان يُنصت إلى الطرفين باهتمام، ويشجعهما على مواصلة النقاش الهادئ، تقديراً لقيمة الحوار في فهم الآخر وتعزيز التعايش الديني.[122]

3. أثر المناظرات الدينية على العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية:

كان للمناظرات الدينية التي شهدتها القدس خلال العصر الأيوبي أثر إيجابي عميق في تعزيز العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية، إذ ساهمت في ترسيخ أجواء من التفاهم والاحترام

---

[119] عاشور، *الحركة الصليبية*، 680/2.

[120] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 166/3.

[121] مجير الدين الحنبلي، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*، (عمان: مكتبة المحتسب، 1973)، 353/2.

[122] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 200/2.

المتبادل بين أتباع الديانات المختلفة. فقد أسهمت هذه اللقاءات الفكرية في بناء جسور من التواصل، وخلق مناخ يسوده التسامح والتعايش السلمي داخل المدينة المقدسة.[123]

وقد أدت هذه المناظرات إلى تعريف كل طرف بمعتقدات الطرف الآخر، مما ساعد على إزالة الكثير من الصور النمطية والتصورات الخاطئة التي كانت تسود بين أتباع الأديان المختلفة. ومن خلال النقاش الهادئ والحوار العلمي، تمكّن المتحاورون من فهم الرؤى الدينية المتنوعة بطريقة أعمق وأكثر موضوعية.[124]

وجرت هذه المناظرات في إطار من الاحترام المتبادل، بعيدًا عن محاولات الإكراه أو فرض الآراء، الأمر الذي جعلها وسيلة فعّالة في نشر ثقافة الحوار وتبادل الأفكار، وأسهمت بشكل ملحوظ في ترسيخ قيم التعددية والتعايش بين سكان القدس على اختلاف معتقداتهم.[125]

2.3.2. التعايش الديني والاحترام المتبادل

تميزت العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بالتعايش الديني والاحترام المتبادل، وذلك في إطار سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون تجاه هذه الأقليات. وقد تجلى هذا التعايش الديني والاحترام المتبادل في العديد من المظاهر والممارسات.

1. احترام المسلمين للأماكن المقدسة للأقليات الدينية:

كان من أبرز مظاهر التعايش الديني والاحترام المتبادل بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، ذلك الاحترام العميق الذي أبداه المسلمون تجاه الأماكن المقدسة لغير المسلمين. فقد حرصت السلطات الأيوبية على صون دور العبادة الخاصة بالمسيحيين واليهود، وضمان ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وأمان.[126]

فقد بقيت كنيسة القيامة تحت إدارة المسيحيين، وتم السماح لهم بإقامة شعائرهم الدينية فيها دون تدخل، كما أُمر بحمايتها وصيانتها، في تأكيد واضح على احترام قدسية هذا المكان لدى

---

[123] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 201/2.

[124] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 167/3.

[125] الدوري، *تاريخ القدس في العصر الإسلامي*، 180.

[126] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 193/2.

الطائفة المسيحية. ولم يقتصر هذا النهج على المسيحيين، بل شمل اليهود كذلك، حيث أُتيح لهم الاحتفاظ بمعابدهم داخل القدس، وممارسة طقوسهم الدينية بحرية، مع توفير الحماية الكاملة لتلك الأماكن.[127]

كما سجلت بعض الرحلات التي وثّقت أحوال المدينة في تلك الفترة، مشاهدات تؤكد هذا الاحترام، حيث لاحظ الرحالة كيف كان المسلمون يتعاملون مع كنيسة القيامة والمعابد اليهودية بأقصى درجات التقدير، دون أن يُلحقوا بها أذى أو يظهروا أي نوع من التعدي، وهو ما يعكس بوضوح روح التسامح التي سادت في المدينة المقدسة آنذاك.[128]

2. احترام الأقليات الدينية للأماكن المقدسة للمسلمين

في المقابل، كان من مظاهر التعايش الديني والاحترام المتبادل بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، ما أبداه أتباع الديانات الأخرى من احترام واضح للأماكن المقدسة الإسلامية. فقد التزم المسيحيون واليهود في المدينة بتقدير قدسية المسجد الأقصى، والمسجد القبلي، وقبة الصخرة، وحرصوا على عدم المساس بحرمتها أو التعرّض لها بأي سوء.[129]

ولم يقتصر هذا الاحترام على المعالم الكبرى، بل شمل أيضًا المساجد والمقامات الإسلامية المنتشرة في المدينة، والتي كانت تحظى بتقدير واضح من قبل غير المسلمين، في صورة من صور التعايش التي ميّزت تلك المرحلة التاريخية. وقد كان هذا السلوك نابعًا من وعي مشترك بأهمية الحفاظ على حرمة أماكن العبادة، وتعزيز أجواء التفاهم والاحترام بين أبناء الديانات المختلفة.[130]

وقد دوّنت بعض الرحلات التي تناولت أحوال القدس آنذاك مشاهدات دقيقة تؤكد هذا الاحترام، إذ لاحظ الرحالة أن المسيحيين واليهود كانوا يمرّون بالأماكن الإسلامية المقدسة بأدب

---

[127] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 156/3.

[128] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 236.

[129] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 202/2.

[130] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 168/3.

ووقار، ويقفون عندها باحترام، دون أن يُظهروا أي تجاوز أو إساءة، في مشهد يعكس روح التعايش السلمي التي كانت تسود المدينة.[131]

3. التعايش اليومي بين المسلمين والأقليات الدينية:

كان التعايش اليومي بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي من أبرز مظاهر الاحترام المتبادل والتسامح الديني الذي ميّز تلك الحقبة. فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود جنبًا إلى جنب في أجواء يسودها الأمن والسلام، وتعاونوا في مختلف مناحي الحياة اليومية.[132]

وقد تجلّى هذا التعايش في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، حيث كان أبناء الديانات المختلفة يتعاملون معًا في الأسواق والشوارع والمحال التجارية، يتبادلون السلع والمصالح، ويشاركون في مناسباتهم المختلفة من خلال تبادل الزيارات والهدايا، مما يعكس روحًا من الألفة والتفاهم التي قلّما توجد في مجتمعات متعددة الديانات.[133]

كما كان السكن المشترك في أحياء متجاورة دليلًا على عمق التعايش، إذ لم تكن هناك حواجز تفصل بين الجماعات الدينية، بل كانت الحياة اليومية تسير بانسجام، يعكس حالة من التقدير والاحترام المتبادل بين الجميع.[134]

وقد أسهم هذا النمط من التعايش في ترسيخ الاستقرار داخل المدينة، وكان انعكاساً واضحاً للسياسة العامة التي انتهجها الحكم الأيوبي، والتي قامت على مبدأ التسامح واحترام خصوصيات الأقليات الدينية، دون تمييز أو تعصّب.[135]

4. دور السلطات الأيوبية في تعزيز التعايش الديني:

---

[131] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 237.

[132] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 203/2.

[133] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 169/3.

[134] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 238.

[135] العسلي، وثائق مقدسية، 168/1.

لعبت السلطات الأيوبية دوراً محورياً في ترسيخ قيم التعايش الديني والاحترام المتبادل بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي. فقد تبنّت سياسة قائمة على التسامح وحماية حقوق الجميع، دون تمييز على أساس ديني، وسعت إلى ضمان أمن جميع سكان المدينة المقدسة، بغضّ النظر عن دياناتهم.[136]

وقد حرص القادة الأيوبيون على تشجيع العلاقات السلمية بين المسلمين والمسيحيين واليهود، فكانوا يتدخلون بحزم لردع أي اعتداء ديني، ويوقعون العقوبات على كل من يتعرض للآخرين بسبب عقيدتهم، في تأكيد واضح على التزامهم بمبدأ العدالة والمساواة.[137]

كما أولت الدولة الأيوبية اهتمامًا بالغًا بحماية حقوق الأقليات، فوفرت لهم الأمن، وضمنت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وحرصت على صون دور عبادتهم من أي انتهاك. وقد انعكس ذلك بشكل ملموس في حياة سكان القدس، حيث سادت أجواء من الاحترام والتفاهم بين أبناء الديانات المختلفة.[138]

لقد كانت هذه السياسة المتسامحة عاملاً رئيسًا في تعزيز الاستقرار داخل المدينة، وأسهمت في بناء مجتمع متماسك، يقوم على القيم المشتركة والاحترام المتبادل، بما يعكس رؤية حضارية متقدمة في إدارة التعددية الدينية.[139]

3.3.2. أثر الفكر الديني الإسلامي على الأقليات الدينية

كان للفكر الديني الإسلامي أثر كبير على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، وخاصة في مجالات العقيدة والفقه والتصوف. وقد تجلى هذا الأثر في العديد من المظاهر والممارسات.

1. أثر الفكر الإسلامي على العقيدة المسيحية واليهودية:

---

[136] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 204/2.

[137] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 170/3.

[138] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 347/10.

[139] عثامنة، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 48.

كان للفكر الإسلامي أثر واضح في تشكيل بعض ملامح العقيدتين المسيحية واليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي، لا سيما فيما يتعلّق بمسائل التوحيد وتنزيه الخالق عن صفات التجسيم والتشبيه. فقد أثّر الطرح الكلامي الإسلامي، القائم على تأكيد وحدانية الله وتنزيهه عن الصفات البشرية، في عدد من علماء الديانتين، ممن بدأوا يراجعون بعض المفاهيم التقليدية في ضوء هذا التأثير.[140]

وقد لوحظ أن بعض علماء المسيحيين في القدس أخذوا يميلون إلى تأويل النصوص التي قد تُفهم على أنها تُجسّد الإله أو تشبّهه بالمخلوقات، متأثرين بالمنهج العقلي الذي ساد في الفكر الإسلامي آنذاك، وخاصة لدى المتكلمين والفلاسفة المسلمين. وينطبق الأمر ذاته على بعض علماء اليهود، الذين تأثروا بنفس الاتجاه في الفكر الإسلامي، وسعوا إلى إعادة تفسير بعض النصوص التوراتية بما يتوافق مع مفاهيم التنزيه.[141]

ويظهر هذا التأثر جلياً في كتابات تلك المرحلة، التي تعكس حواراً فكرياً نشطاً بين أبناء الديانات المختلفة، كانت له آثاره العميقة في تطور الفكر الديني داخل المدينة المقدسة. فقد ساهم هذا التفاعل في تعزيز التقارب على مستوى المفاهيم العقدية الأساسية، وخصوصاً فيما يتعلق بوحدانية الله وتنزيهه، وهي قيم مشتركة بين الديانات السماوية.[142]

2. أثر الفقه الإسلامي على الفقه المسيحي واليهودي:

كان للفقه الإسلامي تأثير ملموس على الفقه المسيحي واليهودي في القدس خلال العصر الأيوبي، لا سيما في مجالي المعاملات والأحوال الشخصية. فقد ساهم الاحتكاك اليومي والتقارب المجتمعي بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى في انتقال بعض المفاهيم الفقهية الإسلامية إلى الفكر الديني والفقهي للمسيحيين واليهود.[143]

ففي مجال المعاملات، تأثر بعض علماء المسيحيين في القدس بالأحكام والقواعد التي يقرّها الفقه الإسلامي، وبدأوا بتبنّي بعض منها في معالجة القضايا المالية والعقود والبيع والشراء،

---

[140] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 205/2.

[141] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 171/3.

[142] الدوري، *تاريخ القدس في العصر الإسلامي*، 181.

[143] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 206/2.

وذلك لما وجدوه فيها من دقة وتنظيم. كما شهد مجال الأحوال الشخصية، من زواج وطلاق ومواريث، تأثراً مماثلًا لدى بعض علماء اليهود، الذين تأثروا بمنهج الفقه الإسلامي في تنظيم شؤون الأسرة، وظهرت انعكاسات ذلك في فتاويهم واجتهاداتهم.[144]

وقد تجلّت هذه التأثيرات في المصادر الفقهية والنصوص الدينية التي تعود إلى تلك الفترة، والتي تعكس حواراً فقهياً نشِطاً بين أتباع الديانات الثلاث. ويؤكد هذا التأثر المتبادل مدى التفاعل العميق الذي نشأ في البيئة الأيوبية، حيث ساعد التسامح الديني والتعايش السلمي على فتح آفاق معرفية جديدة بين الفقهاء، وأسهم في تطوير الفكر القانوني والديني في القدس بشكل عام.[145]

3. أثر التصوف الإسلامي على الروحانية المسيحية واليهودية:

كان للتصوف الإسلامي أثر واضح على الروحانية المسيحية واليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي، لا سيما في مجالات الزهد والتقشف والسعي نحو المحبة الإلهية. فقد تأثر بعض الرهبان المسيحيين في المدينة بأساليب التصوف الإسلامي، مما دفعهم إلى تبني نهج الزهد والانقطاع للعبادة بشكل أعمق، مع التركيز على الحياة الروحية الداخلية والتقرب إلى الله عبر المحبة والتواضع.[146]

كما لوحظ تأثر بعض الأحبار اليهود في القدس بنفس الروحانيات الصوفية، حيث بدأوا يميلون إلى أساليب تقشفية وزهدية مشابهة، مما يعكس تفاعلاً روحياً بين هذه الجماعات الدينية المختلفة. وقد تجلى هذا التأثير في النصوص الدينية والكتابات الروحية التي ظهرت في تلك الفترة، والتي تعكس اهتمامًا مشتركًا بالتصوف كسبيل للتقرب إلى الله والتجرد من ملذات الدنيا.[147]

ويُظهر هذا التداخل الروحي مدى الانفتاح والتبادل الفكري والروحي بين أتباع الديانات الثلاث في القدس، حيث ساعدت بيئة التسامح الديني على نشوء حوارات روحية عميقة أثرت في

---

[144] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 172/3.

[145] غوانمة، *تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي*، 92.

[146] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 207/2.

[147] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 173/3.

تشكيل التجارب الروحية المشتركة، وعمّقت مفاهيم الزهد والتقشف والمحبة الإلهية في مختلف الطوائف.[148]

4. أثر اللغة العربية والثقافة الإسلامية على الأقليات الدينية:

كان للغة العربية والثقافة الإسلامية تأثير عميق على الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي. فقد أصبح المسيحيون واليهود في المدينة يتحدثون اللغة العربية ويكتبون بها، كما اطلعوا على الكتب العربية والإسلامية، مما أسهم في تعزيز التواصل الثقافي والفكري بينهم وبين المسلمين.[149]

ولم يقتصر هذا التأثير على اللغة فحسب، بل امتد إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية، حيث تأثر أتباع الأقليات ببعض العادات والتقاليد الإسلامية التي دخلت في حياتهم اليومية، مما أضاف بعدًا جديدًا للتفاعل الحضاري في المدينة المقدسة.[150]

ويظهر هذا التداخل في كتابات وممارسات تلك الأقليات خلال تلك الفترة، حيث انعكس الفكر الديني الإسلامي بشكل واضح في مجالات العقيدة والفقه والتصوف، مما يدل على مستوى عالٍ من التفاعل والتقارب بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس.[151]

لقد مثل هذا الانصهار الثقافي والفكري نموذجًا للتعايش والتبادل الحضاري، مؤكدًا على أن القدس لم تكن مجرد مركز ديني فقط، بل كانت ملتقى للأفكار والثقافات المتنوعة التي أسهمت في إثراء الحياة الروحية والاجتماعية لجميع سكانها.[152]

---

[148] العارف، المفصل في تاريخ القدس، 237.

[149] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 208/2.

[150] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 174/3.

[151] العسلي، *وثائق مقدسية*، 169/1.

[152] عثامنة، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 149.

الفصل الثالث

الأوضاع القانونية والإدارية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي

1.3. الوضع القانوني للمسيحيين في القدس

1.1.3. الامتيازات الممنوحة للمسيحيين بعد تحرير القدس

شهدت مدينة القدس بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/1187م تحولاً جذرياً في وضع المسيحيين فيها، خاصة بعد فترة طويلة من الاحتلال الصليبي الذي فرض سيطرته على المدينة المقدسة. وقد تميزت سياسة صلاح الدين تجاه المسيحيين بالتسامح والعدل، وهو ما انعكس على الامتيازات التي منحها لهم بعد تحرير المدينة.

من أبرز الامتيازات التي منحها صلاح الدين للمسيحيين بعد تحرير القدس:

أ- السماح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في المدينة: سمح صلاح الدين للرعايا المسيحيين من الشاميين واليونان بالبقاء في المدينة كرعايا.[153] وهذا يعكس سياسة التمييز التي انتهجها صلاح الدين بين المسيحيين الشرقيين الذين كانوا يعيشون في المنطقة قبل الاحتلال الصليبي، والصليبيين الغربيين الذين جاءوا كمحتلين.

ب- منح المسيحيين حرية العبادة: سمح صلاح الدين للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية في كنائسهم بحرية، مع بعض القيود التي فرضتها الشروط العمرية. أمر السلطان بإقرار النصارى الشرقيين على ما كانوا عليه، وأن يسكنوا في القدس ويؤدوا الجزية، وأن يكون لهم ما للذميين من الحقوق والواجبات.[154]

ت- منح المسيحيين ديراً خاصاً بهم: تسامح صلاح الدين مع المسيحيين ومنحهم ديراً،[155] وهذا يعكس حرص صلاح الدين على احترام الحقوق الدينية للمسيحيين وتوفير أماكن العبادة لهم.

---

[153] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 148.

[154] الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، 187.

[155] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 326/3.

ث- السماح للحجاج المسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة: سمح صلاح الدين للحجاج المسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة في القدس، مقابل دفع رسوم محددة. وأذن السلطان للحجاج النصارى بزيارة القيامة وبيت لحم وغيرها من المواضع المقدسة عندهم، على أن يدفعوا رسماً معلوماً.[156]

ج- إعفاء بعض فئات المسيحيين من الجزية: أعفى صلاح الدين بعض فئات المسيحيين من الجزية، مثل الرهبان والفقراء والمسنين. كما خفض الضرائب المفروضة على التجار والحجاج الأرمن، وأكد حقوقهم.

ح- تعيين مسؤولين مسيحيين في بعض المناصب الإدارية: سمح صلاح الدين لبعض المسيحيين بتولي مناصب إدارية في الدولة، خاصة في مجالات الطب والترجمة والمالية. حيث أن بعض النصارى كانوا يعملون في ديوان الجيش وديوان المال في عهد صلاح الدين.[157]

خ- حماية الممتلكات والأوقاف المسيحية: حرص صلاح الدين على حماية ممتلكات الكنائس والأديرة المسيحية، وأقر الأوقاف التي كانت مخصصة لها. وأمر السلطان بحماية أوقاف الكنائس والأديرة، وأن تبقى على ما كانت عليه.[158]

وقد استمرت هذه السياسة المتسامحة تجاه المسيحيين طوال العصر الأيوبي، مع بعض التغيرات التي فرضتها الظروف السياسية والاجتماعية. وكان لهذه السياسة أثر كبير في استقرار الأوضاع في القدس، وتعزيز التعايش بين المسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة.

2.1.3. القيود المفروضة على المسيحيين في القدس

على الرغم من السياسة المتسامحة التي انتهجها صلاح الدين الأيوبي تجاه المسيحيين في القدس، إلا أن هناك بعض القيود التي فُرضت عليهم، وفقاً للشروط العمرية ونظام أهل الذمة في الإسلام. وقد كانت هذه القيود تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وضمان سيادة الدولة الإسلامية على المدينة المقدسة.

من أبرز القيود التي فُرضت على المسيحيين في القدس خلال العصر الأيوبي:

---

[156] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 220/2.

[157] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 240/1.

[158] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 150.

أ- دفع الجزية: كان على المسيحيين البالغين القادرين دفع الجزية للدولة الأيوبية، كما هو الحال مع جميع أهل الذمة. وقد حدد مقدار الجزية بناءً على الحالة المالية للذمي، فكانت على ثلاث درجات: أربعة دنانير على الغني، ودينارين على متوسط الحال، ودينار واحد على الفقير.[159] وفي أواخر العصر الأيوبي، صارت الجزية موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة.[160]

ب- عدم بناء كنائس جديدة: منع المسيحيون من بناء كنائس جديدة في القدس، وفقاً للشروط العمرية. وكان يُسمح لهم فقط بترميم الكنائس القائمة والحفاظ عليها. ومن شروط عقد الذمة ألا يحدثوا في دار الإسلام كنيسة ولا بيعة ولا صومعة ولا قلاية.[161]

ت- القيود على ممارسة الشعائر الدينية: كان على المسيحيين ممارسة شعائرهم الدينية بشكل لا يزعج المسلمين، فلا يرفعون أصواتهم في الكنائس، ولا يظهرون الصليب في الأماكن العامة. ومن شروط عقد الذمة ألا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم فيما يجاورهم من المسلمين.[162]

ث- ارتداء زي خاص: كان على المسيحيين ارتداء زي خاص يميزهم عن المسلمين، وفقاً للشروط العمرية. وقد تطور هذا الزي عبر العصور الإسلامية المختلفة. في العصر الأيوبي، كان المسيحيون يرتدون الزنار (حزام خاص) وألواناً محددة تميزهم عن المسلمين.[163]

ج- القيود على ركوب الخيل والسلاح: منع المسيحيون من ركوب الخيل وحمل السلاح، وفقاً للشروط العمرية. وكان يُسمح لهم بركوب البغال والحمير فقط.[164]

ح- القيود على بناء المنازل: كان على المسيحيين الالتزام ببعض القيود في بناء منازلهم، فلا تعلو منازلهم على منازل المسلمين، ولا تشبهها في الشكل والهيئة.[165]

خ- القيود على التجارة: كان على المسيحيين الالتزام ببعض القيود في التجارة، فلا يتاجرون في الخمر والخنزير في أسواق المسلمين، ولا يبيعون ما حرمه الإسلام.[166]

---

[159] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 237/1.

[160] الطواهية، *الجوالي في العصر المملوكي*، 47.

[161] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 657/2.

[162] أبو يوسف، *كتاب الخراج*، 130.

[163] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 735/2.

[164] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 741/2.

[165] أبو يوسف، *كتاب الخراج*، 131.

وعلى الرغم من هذه القيود، إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى أن تطبيقها في العصر الأيوبي كان يتسم بالمرونة والتسامح، خاصة في ظل سياسة صلاح الدين المتسامحة تجاه أهل الذمة. وقد ساهمت هذه السياسة في استقرار الأوضاع في القدس، وتعزيز التعايش بين المسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة.

3.1.3. التنظيم الإداري للطوائف المسيحية في القدس

شهد العصر الأيوبي تنظيماً إدارياً دقيقاً للطوائف المسيحية في القدس، يهدف إلى تنظيم شؤونهم الدينية والاجتماعية والقانونية، مع الحفاظ على سيادة الدولة الإسلامية على المدينة المقدسة. وقد تميز هذا التنظيم بالمرونة والتسامح، مع الالتزام بالأصول الشرعية ونظام أهل الذمة في الإسلام.

من أبرز ملامح التنظيم الإداري للطوائف المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي:

أ- الاعتراف بالطوائف المسيحية المختلفة: اعترفت الدولة الأيوبية بالطوائف المسيحية المختلفة في القدس، مثل الأرثوذكس واللاتين والأرمن والأقباط والسريان. وكان لكل طائفة حقوقها وامتيازاتها الخاصة، مع الالتزام بالواجبات العامة لأهل الذمة.[167]

ب- تعيين رؤساء الطوائف المسيحية: كان يتم تعيين رؤساء الطوائف المسيحية (البطاركة والأساقفة) بموافقة السلطان الأيوبي أو نائبه في القدس. وكان هؤلاء الرؤساء مسؤولين عن تنظيم الشؤون الدينية والاجتماعية لطوائفهم، وتمثيلها أمام السلطات الأيوبية.[168]

ت- تنظيم الأوقاف المسيحية: اعترفت الدولة الأيوبية بالأوقاف المسيحية في القدس، وسمحت للطوائف المسيحية بإدارتها وفق قوانينها الخاصة، مع الخضوع للإشراف العام للدولة. وكانت هذه الأوقاف تشمل الكنائس والأديرة والمدارس والمستشفيات والممتلكات الأخرى.

ث- تنظيم القضاء للطوائف المسيحية: سمحت الدولة الأيوبية للطوائف المسيحية بتطبيق قوانينها الخاصة في القضايا الدينية والأحوال الشخصية، مثل الزواج والطلاق والميراث. وكان رؤساء

---

[166] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 658/2.

[167] عبد العزيز سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2009)، 219.

[168] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 220.

الطوائف (البطاركة والأساقفة) يتولون الفصل في هذه القضايا، مع الخضوع للإشراف العام للقضاء الإسلامي.[169]

ج- تنظيم الحج المسيحي إلى القدس: نظمت الدولة الأيوبية الحج المسيحي إلى القدس، وسمحت للحجاج المسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة، مقابل دفع رسوم محددة. وكانت هناك إجراءات خاصة لتنظيم هذا الحج، وضمان أمن الحجاج وسلامتهم.[170]

ح- تنظيم سدانة كنيسة القيامة: أقر صلاح الدين نظاماً خاصاً لسدانة كنيسة القيامة، حيث عهد إلى آل نسيبة بمهمة فتح بوابة الكنيسة وإغلاقها، واحتفظ آل جودة بمفاتيح الكنيسة. وقد استمر هذا النظام حتى العصر الحديث، مما يدل على استقرار التنظيم الإداري للمؤسسات الدينية للأقليات.[171]

خ- تنظيم العلاقات بين الطوائف المسيحية: تدخلت الدولة الأيوبية أحياناً لتنظيم العلاقات بين الطوائف المسيحية المختلفة، وحل النزاعات التي كانت تنشأ بينها، خاصة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة والامتيازات. وكان هذا التدخل يهدف إلى ضمان الاستقرار والتعايش بين هذه الطوائف.[172]

وقد ساهم هذا التنظيم الإداري الدقيق للطوائف المسيحية في استقرار الأوضاع في القدس خلال العصر الأيوبي، وتعزيز التعايش بين المسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة. كما ساهم في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للطوائف المسيحية، مع ضمان ولائها للدولة الأيوبية.

2.3. الوضع القانوني لليهود في القدس

1.2.3. عودة اليهود إلى القدس بعد تحريرها

شهدت مدينة القدس تحولاً جذرياً في وضع اليهود فيها بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/1187م، خاصة بعد فترة طويلة من الاضطهاد الذي تعرضوا له خلال فترة

---

[169] عبد الرحمن، التعاملات القضائية، 3.

[170] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 221/2.

[171] آل جودة، *سدنة كنيسة القيامة منذ عهد القائد صلاح الدين*، صحيفة القدس، 25 مايو 2012.

[172] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 222.

الاحتلال الصليبي. فقد كان اليهود ممنوعين من السكن في القدس طوال فترة الاحتلال الصليبي التي استمرت قرابة تسعين عاماً، وتعرضوا للاضطهاد والقتل والتشريد على يد الصليبيين.

يذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن الصليبيين "قتلوا من اليهود من كان بالقدس، وجمعوهم في كنيسهم وأحرقوه عليهم".[173] وهذا يعكس حجم المعاناة التي تعرض لها اليهود خلال فترة الاحتلال الصليبي.

وبعد تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي، شهدت المدينة عودة اليهود إليها، حيث رفع صلاح الدين حظر سكنى اليهود بالمدينة وفي كامل فلسطين.[174]

وقد جاء اليهود إلى القدس من مختلف أنحاء العالم، خاصة من أوروبا التي كانوا يتعرضون فيها للاضطهاد. يذكر المؤرخ عبد العزيز سيد الأهل أن "اليهود جاءوا إلى القدس من فرنسا والمغرب وألمانيا وجنوب إنجلترا، واستقر الكثيرون منهم في الأرض المقدسة".[175]

ومن الجدير بالذكر أن عودة اليهود إلى القدس كانت بتشجيع من صلاح الدين نفسه، الذي كان يؤمن بالتسامح الديني ويحترم حقوق أهل الذمة. وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى يراعي أحوال أهل الذمة، ويعاملهم بالعدل والإنصاف، ويحفظ حقوقهم.[176]

وقد لعب الطبيب اليهودي موسى بن ميمون، الذي كان طبيباً خاصاً لصلاح الدين، دوراً مهماً في تشجيع عودة اليهود إلى القدس. في العصر الأيوبي توسط لدى صلاح الدين طبيبه الخاص موسى بن ميمون، فتدفق اليهود من بلدان أوروبا إلى فلسطين ومصر.

وقد استقر اليهود في القدس في حي خاص بهم، عُرف باسم "حارة اليهود"، وكان يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة القديمة. يقول المؤرخ عبد العزيز سيد الأهل: "استقر اليهود في

---

[173] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 282.

[174] محمد شعبان أيوب، *عاشوا بين المسلمين.. قصة الوجود اليهودي بالقدس أيام العثمانيين*، الجزيرة نت، 26 مارس 2019.

[175] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 223.

[176] ابن الجوزي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، 481/21.

حي خاص بهم في القدس، وكان يُعرف باسم حارة اليهود، وكان يقع بالقرب من حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى).[177]

وقد شهدت القدس خلال العصر الأيوبي ازدهاراً في الحياة اليهودية، حيث أقام اليهود معابدهم (الكُنُس) ومدارسهم ومؤسساتهم الدينية والاجتماعية، حيث كان لليهود في القدس كُنُس يجتمعون فيها للصلاة، ومدارس يتعلمون فيها دينهم.[178]

ومن الجدير بالذكر أن عودة اليهود إلى القدس خلال العصر الأيوبي كانت جزءاً من سياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين تجاه أهل الذمة، والتي كانت تهدف إلى تعزيز التعايش بين أتباع الديانات المختلفة في المدينة المقدسة. وقد استمرت هذه السياسة طوال العصر الأيوبي، مما ساهم في استقرار الأوضاع في القدس وازدهارها.

2.2.3. الحقوق والواجبات القانونية لليهود في القدس

تمتع اليهود في القدس خلال العصر الأيوبي بمجموعة من الحقوق القانونية، مع التزامهم بمجموعة من الواجبات، وفقاً لنظام أهل الذمة في الإسلام. وقد كانت هذه الحقوق والواجبات تهدف إلى تنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود، وضمان سيادة الدولة الإسلامية على المدينة المقدسة، مع احترام الحقوق الدينية والثقافية لليهود.

1. الحقوق القانونية لليهود في القدس:

أ- حق الإقامة في القدس: تمتع اليهود بحق الإقامة في القدس، بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك خلال فترة الاحتلال الصليبي، حيث سمح صلاح الدين لليهود بالإقامة في القدس، وأقروا على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم.[179]

---

[177] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 224.

[178] ابن الجوزي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، 482/21.

[179] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 223.

ب- حق ممارسة الشعائر الدينية: تمتع اليهود بحق ممارسة شعائرهم الدينية في معابدهم (الكُنُس)، مع بعض القيود التي فرضتها الشروط العمرية. كان لليهود في القدس كُنُس يجتمعون فيها للصلاة، ويقيمون فيها شعائرهم الدينية.[180]

ت- حق التملك: تمتع اليهود بحق تملك العقارات والأراضي في القدس، مع بعض القيود، كان لليهود في القدس ممتلكات خاصة بهم، من منازل ودكاكين وأراضٍ.[181]

ث- حق التجارة والعمل: تمتع اليهود بحق ممارسة التجارة والحرف المختلفة في القدس، مع بعض القيود، حيث كان اليهود يعملون في التجارة والصناعة والطب والترجمة وغيرها من المهن.[182]

ج- حق التقاضي: تمتع اليهود بحق التقاضي أمام المحاكم الإسلامية، وكان لهم الحق في رفع الدعاوى والشكاوى ضد المسلمين وغيرهم، وكان أهل الذمة يتقاضون أمام القضاة المسلمين، ويحكم بينهم بالعدل والإنصاف.[183]

ح- حق الأمان: تمتع اليهود بحق الأمان على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم، وكانت الدولة الأيوبية ملزمة بحمايتهم من أي اعتداء. وكان السلطان صلاح الدين يأمر بحماية أهل الذمة، ويعاقب من يعتدي عليهم.[184]

خ- حق التعليم: تمتع اليهود بحق إنشاء مدارسهم الخاصة وتعليم أبنائهم دينهم ولغتهم وثقافتهم. حيث كان لليهود في القدس مدارس يتعلمون فيها دينهم ولغتهم.[185]

2. الواجبات القانونية لليهود في القدس:

أ- دفع الجزية: كان على اليهود البالغين القادرين دفع الجزية للدولة الأيوبية، كما هو الحال مع جميع أهل الذمة. وقد حدد مقدار الجزية بناءً على الحالة المالية للذمي، فكانت على ثلاث

---

[180] ابن الجوزي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، 482/21.

[181] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 224.

[182] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 241/1.

[183] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 222/2.

[184] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 151.

[185] ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، 482/21.

درجات: أربعة دنانير على الغني، ودينارين على متوسط الحال، ودينار واحد على الفقير.[186] وفي أواخر العصر الأيوبي، صارت الجزية موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة.[187]

ب- الالتزام بالشروط العمرية: كان على اليهود الالتزام بالشروط العمرية، مثل عدم بناء معابد جديدة، وعدم إظهار شعائرهم الدينية في الأماكن العامة، وارتداء زي خاص يميزهم عن المسلمين، وعدم ركوب الخيل وحمل السلاح، وعدم بناء منازل تعلو على منازل المسلمين.[188]

ت- الخضوع للقضاء الإسلامي: كان على اليهود الخضوع للقضاء الإسلامي في القضايا المدنية والجنائية التي تتعلق بالمسلمين، مع السماح لهم بتطبيق قوانينهم الخاصة في القضايا الدينية والأحوال الشخصية.[189]

ث- عدم الإساءة للإسلام والمسلمين: كان على اليهود عدم الإساءة للإسلام والمسلمين، وعدم التجاهر بما يخالف تعاليم الإسلام، مثل شرب الخمر وأكل الخنزير في الأماكن العامة.[190]

ج- الولاء للدولة الأيوبية: كان على اليهود إظهار الولاء للدولة الأيوبية، وعدم التعاون مع أعدائها، وعدم التآمر عليها.[191]

وعلى الرغم من هذه الواجبات، إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى أن تطبيقها في العصر الأيوبي كان يتسم بالمرونة والتسامح، خاصة في ظل سياسة صلاح الدين المتسامحة تجاه أهل الذمة. وقد ساهمت هذه السياسة في استقرار الأوضاع في القدس، وتعزيز التعايش بين المسلمين واليهود في المدينة المقدسة.

3.2.3. التنظيم الإداري للطائفة اليهودية في القدس

شهد العصر الأيوبي تنظيماً إدارياً دقيقاً للطائفة اليهودية في القدس، يهدف إلى تنظيم شؤونهم الدينية والاجتماعية والقانونية، مع الحفاظ على سيادة الدولة الإسلامية على المدينة

---

[186] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 237/1.

[187] الطواهية، *الجوالي في العصر المملوكي*، 47.

[188] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 657/2

[189] عبد الرحمن، التعاملات القضائية ، 3.

[190] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 658/2.

[191] ابن قيم الجوزية، *أحكام أهل الذمة*، 659/2.

المقدسة. وقد تميز هذا التنظيم بالمرونة والتسامح، مع الالتزام بالأصول الشرعية ونظام أهل الذمة في الإسلام.

من أبرز ملامح التنظيم الإداري للطائفة اليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي:

أ- تعيين رئيس الطائفة اليهودية (الناجيد): كان يتم تعيين رئيس الطائفة اليهودية، الذي كان يُعرف باسم "الناجيد" أو "رأس الجالوت"، بموافقة السلطان الأيوبي أو نائبه في القدس. وكان الناجيد مسؤولاً عن تنظيم الشؤون الدينية والاجتماعية للطائفة اليهودية، وتمثيلها أمام السلطات الأيوبية.[192]

ب- تنظيم المجلس اليهودي (بيت الدين): كان للطائفة اليهودية في القدس مجلس خاص، يُعرف باسم "بيت الدين"، وكان يتكون من عدد من الحاخامات والعلماء اليهود. وكان هذا المجلس مسؤولاً عن تنظيم الشؤون الدينية والقضائية للطائفة اليهودية، والفصل في النزاعات بين أفرادها وفق الشريعة اليهودية.[193]

ت- تنظيم الأوقاف اليهودية: اعترفت الدولة الأيوبية بالأوقاف اليهودية في القدس، وسمحت للطائفة اليهودية بإدارتها وفق قوانينها الخاصة، مع الخضوع للإشراف العام للدولة. وكانت هذه الأوقاف تشمل المعابد (الكُنُس) والمدارس والمستشفيات والممتلكات الأخرى.[194]

ث- تنظيم القضاء اليهودي: سمحت الدولة الأيوبية للطائفة اليهودية بتطبيق قوانينها الخاصة في القضايا الدينية والأحوال الشخصية، مثل الزواج والطلاق والميراث. وكان بيت الدين يتولى الفصل في هذه القضايا، مع الخضوع للإشراف العام للقضاء الإسلامي.[195]

ج- تنظيم التعليم اليهودي: سمحت الدولة الأيوبية للطائفة اليهودية بإنشاء مدارسها الخاصة، وتعليم أبنائها دينها ولغتها وثقافتها. وكانت هذه المدارس تُعرف باسم "المدراش" أو "بيت المدراش"، وكانت تُدرس فيها التوراة والتلمود وغيرها من الكتب الدينية اليهودية.[196]

---

[192] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 225.

[193] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 226.

[194] دور الوقف الإسلامي في التنمية العمرانية، المعهد العالمي للوقف الإسلامي، 2024، 16.

[195] عبد الرحمن، التعاملات القضائية ، 4.

[196] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 227.

ح- تنظيم الرعاية الاجتماعية: كان للطائفة اليهودية في القدس نظام خاص للرعاية الاجتماعية، يُعرف باسم "الصدقة" أو "الزدكة"، وكان يهدف إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين من اليهود. وكانت هناك مؤسسات خاصة لهذا الغرض، مثل "بيت المأوى" و"بيت الطعام".[197]

خ- تنظيم العلاقات مع الطوائف اليهودية الأخرى: كانت الطائفة اليهودية في القدس على اتصال وثيق مع الطوائف اليهودية في مصر والشام وغيرها من البلدان الإسلامية. وكان هناك تبادل للزيارات والمراسلات بين هذه الطوائف، وتنسيق للمواقف والسياسات.[198]

وقد ساهم هذا التنظيم الإداري الدقيق للطائفة اليهودية في استقرار الأوضاع في القدس خلال العصر الأيوبي، وتعزيز التعايش بين المسلمين واليهود في المدينة المقدسة. كما ساهم في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للطائفة اليهودية، مع ضمان ولائها للدولة الأيوبية.

3.3. العلاقات بين السلطة الأيوبية والأقليات الدينية

1.3.3. دور القضاء في تنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة

لعب القضاء الإسلامي دوراً محورياً في تنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة في القدس خلال العصر الأيوبي، وكان بمثابة الضامن لحقوق الجميع والمنظم للتعايش بين مختلف الطوائف الدينية. وقد تميز القضاء في العصر الأيوبي بالعدل والإنصاف، وهو ما انعكس إيجاباً على العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة.

كان للقاضي في عهد الأيوبيين أعوان يساعدونه على العدل في الحكم وإعادة الحقوق إلى أصحابها، فكان منهم الجلواز الذي يستعين به القاضي على تنظيم قاعة المحكمة. وكان القضاة في العصر الأيوبي يتمتعون باستقلالية كبيرة في أحكامهم، وكانوا يخضعون فقط للشريعة الإسلامية والقوانين المستمدة منها.

وتشير الوثائق التاريخية إلى ثقة أهل الذمة في السلطة القضائية الإسلامية، وقبولهم الشريعة الإسلامية في تنظيم شؤونهم. فقد ذكرت إحدى الوثائق من العصر المملوكي (وهو امتداد للعصر الأيوبي) أن أحد المسيحيين ويُدعى يعقوب النصراني قد تُوفِّي دون أن يكون له وريث،

---

[197] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 228.

[198] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 229.

وترك داراً بحارة النصارى بالقدس، وقد آلت ملكية هذه الدار لبيت المال بعد توثيق الأمر لدى القاضي شرف الدين الشافعي.[199] وهذا يدل على ثقة أهل الذمة في القضاء الإسلامي وقبولهم لأحكامه.

وكانت المعاملات القضائية لأهل الذمة في القدس متنوعة، وتشمل حالات حصر أعيان بغرض الإرث، وحصر موجودات، وعقود بيع، وعقود زواج وطلاق، وبعض الشكاوى الخاصة. وهي بذلك تغطي جانباً كبيراً من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمة في القدس خلال تلك الفترة، وتوضح لنا إلى أي مدى كان تعايشهم مع المجتمع الإسلامي هناك.[200]

ومن الجدير بالذكر أن القضاء في العصر الأيوبي كان يراعي خصوصية أهل الذمة في بعض القضايا، خاصة تلك المتعلقة بالأحوال الشخصية والقضايا الدينية. فقد سمح للطوائف المسيحية واليهودية بتطبيق قوانينها الخاصة في هذه القضايا، مع الخضوع للإشراف العام للقضاء الإسلامي. وكان أهل الذمة يتحاكمون إلى رؤسائهم الدينيين في قضايا الزواج والطلاق والميراث، وفق شرائعهم الخاصة.[201]

وقد ساهم هذا التنظيم القضائي الدقيق في استقرار العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة في القدس خلال العصر الأيوبي، وتعزيز التعايش بين مختلف الطوائف الدينية في المدينة المقدسة. كما ساهم في الحفاظ على حقوق أهل الذمة وحمايتهم من أي تعسف أو ظلم.

2.3.3. دور المؤسسات الدينية في تنظيم شؤون الأقليات

لعبت المؤسسات الدينية دوراً مهماً في تنظيم شؤون الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، سواء كانت هذه المؤسسات إسلامية أو مسيحية أو يهودية. وقد تميز هذا الدور بالتنظيم والتنسيق مع السلطات الأيوبية، مما ساهم في استقرار الأوضاع في المدينة المقدسة.

1. دور المؤسسات الدينية الإسلامية:

---

[199] عبد الرحمن، التعاملات القضائية، 8.

[200] عبد الرحمن، التعاملات القضائية، 3.

[201] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 223/2.

أ- دور الأوقاف الإسلامية: شهدت فلسطين تطوراً وقفياً في العهد الأيوبي، حيث أجاز الفقهاء في ذلك العصر وقف الأمراء والسلاطين من بيت المال.[202] وقد ساهمت الأوقاف الإسلامية في تنظيم شؤون أهل الذمة من خلال تمويل بعض الخدمات التي كانوا يستفيدون منها، مثل المستشفيات والمدارس والخانات.

ب- دور المساجد والمدارس الدينية: لعبت المساجد والمدارس الدينية الإسلامية دوراً مهماً في نشر ثقافة التسامح والتعايش مع أهل الذمة، من خلال الخطب والدروس التي كانت تُلقى فيها. وقد حرص العلماء المسلمون في العصر الأيوبي على التأكيد على حقوق أهل الذمة وواجباتهم، وفق الشريعة الإسلامية.[203]

ت- دور القضاء الشرعي: لعب القضاء الشرعي الإسلامي دوراً مهماً في تنظيم شؤون أهل الذمة، من خلال الفصل في النزاعات التي كانت تنشأ بينهم وبين المسلمين، أو بينهم وبين بعضهم البعض. وقد حرص القضاة المسلمون على تطبيق العدل والإنصاف في أحكامهم، بغض النظر عن دين المتقاضين.[204]

2. دور المؤسسات الدينية المسيحية:

أ- دور الكنائس والأديرة: لعبت الكنائس والأديرة المسيحية دوراً مهماً في تنظيم الشؤون الدينية والاجتماعية للمسيحيين في القدس. وكانت هذه المؤسسات تقدم خدمات متنوعة للمسيحيين، مثل التعليم والرعاية الصحية والمساعدات الاجتماعية.[205]

ب- دور البطريركيات والأسقفيات: لعبت البطريركيات والأسقفيات المسيحية دوراً مهماً في تمثيل المسيحيين أمام السلطات الأيوبية، والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم. وكان البطاركة والأساقفة يتمتعون بمكانة خاصة لدى السلطات الأيوبية، وكانوا يُستشارون في القضايا التي تخص المسيحيين.[206]

---

[202] دور الوقف الإسلامي في التنمية العمرانية، المعهد العالمي للوقف الإسلامي، 2024، 15.

[203] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 230.

[204] عبد الرحمن، التعاملات القضائية، 5.

[205] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 231.

[206] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 232.

ت- دور المحاكم الكنسية: سمحت السلطات الأيوبية للمسيحيين بإنشاء محاكم كنسية خاصة بهم، للفصل في القضايا الدينية والأحوال الشخصية، مثل الزواج والطلاق والميراث. وكانت هذه المحاكم تطبق القوانين الكنسية، مع الخضوع للإشراف العام للقضاء الإسلامي.[207]

3. دور المؤسسات الدينية اليهودية:

أ- دور المعابد (الكُنُس): لعبت المعابد اليهودية دوراً مهماً في تنظيم الشؤون الدينية والاجتماعية لليهود في القدس. وكانت هذه المعابد مراكز للعبادة والتعليم والنشاط الاجتماعي.[208]

ب- دور المجلس اليهودي (بيت الدين): لعب المجلس اليهودي دوراً مهماً في تنظيم الشؤون القانونية والقضائية لليهود في القدس. وكان هذا المجلس يتكون من عدد من الحاخامات والعلماء اليهود، وكان مسؤولاً عن تطبيق الشريعة اليهودية في القضايا الدينية والأحوال الشخصية.[209]

ت- دور المدارس الدينية اليهودية: لعبت المدارس الدينية اليهودية دوراً مهماً في تعليم اليهود دينهم ولغتهم وثقافتهم. وكانت هذه المدارس تُعرف باسم "المدراش" أو "بيت المدراش"، وكانت تُدرس فيها التوراة والتلمود وغيرها من الكتب الدينية اليهودية.[210]

وقد ساهم هذا التنظيم الدقيق للمؤسسات الدينية في استقرار الأوضاع في القدس خلال العصر الأيوبي، وتعزيز التعايش بين مختلف الطوائف الدينية في المدينة المقدسة. كما ساهم في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية لكل طائفة، مع ضمان ولائها للدولة الأيوبية.

3.3.3. التمثيل السياسي للأقليات الدينية في القدس

على الرغم من أن الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي لم تتمتع بتمثيل سياسي مباشر في مؤسسات الدولة، إلا أنها كانت تتمتع بنوع من التمثيل غير المباشر من خلال

---

[207] عبد الرحمن، التعاملات القضائية، 6.

[208] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 233.

[209] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 234.

[210] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 235.

قياداتها الدينية والاجتماعية. وقد حرصت السلطات الأيوبية على التشاور مع هذه القيادات في القضايا التي تخص الأقليات الدينية، مما منحها نوعاً من المشاركة في صنع القرار.

1. التمثيل السياسي للمسيحيين:

أ- دور البطاركة والأساقفة: كان البطاركة والأساقفة المسيحيون يمثلون طوائفهم أمام السلطات الأيوبية، ويدافعون عن حقوقهم ومصالحهم. وكانوا يتمتعون بمكانة خاصة لدى السلطات الأيوبية، وكانوا يُستشارون في القضايا التي تخص المسيحيين.[211]

ب- المناصب الإدارية: سمح صلاح الدين الأيوبي لبعض المسيحيين بتولي مناصب إدارية في الدولة، خاصة في مجالات الطب والترجمة والمالية. يذكر المقريزي أن "بعض النصارى كانوا يعملون في ديوان الجيش وديوان المال في عهد صلاح الدين.[212]

ت- الامتيازات الخاصة: منح صلاح الدين الأيوبي بعض الطوائف المسيحية امتيازات خاصة، مثل الأرمن الذين استعادوا موقعهم المفضل في ظل حكمه وأعفوا من الجزية. كما خفض الضرائب المفروضة على التجار والحجاج الأرمن وأكد حقوقهم.

2. التمثيل السياسي لليهود:

أ- دور الناجيد (رأس الجالوت): كان الناجيد يمثل الطائفة اليهودية أمام السلطات الأيوبية، ويدافع عن حقوقها ومصالحها. وكان يتمتع بمكانة خاصة لدى السلطات الأيوبية، وكان يُستشار في القضايا التي تخص اليهود.[213]

ب- دور الأطباء والعلماء اليهود: لعب الأطباء والعلماء اليهود دوراً مهماً في التأثير على السياسات الأيوبية تجاه اليهود. ومن أبرز هؤلاء موسى بن ميمون، الذي كان طبيباً خاصاً لصلاح الدين، وتوسط لديه لتحسين أوضاع اليهود في القدس ومصر.[214]

ت- الامتيازات الخاصة: منح صلاح الدين الأيوبي اليهود بعض الامتيازات الخاصة، مثل السماح لهم بالعودة إلى القدس بعد أن كانوا ممنوعين من السكن فيها خلال فترة الاحتلال الصليبي. كما سمح لهم بإقامة معابدهم ومدارسهم ومؤسساتهم الدينية والاجتماعية.[215]

---

[211] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 236.

[212] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 240/1.

[213] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 237.

[214] أيوب، *عاشوا بين المسلمين*، 2019.

3. دور الطوائف الأخرى:

أ- دور الدروز: لعبت الطائفة الدرزية دوراً هاماً في تشكيل تاريخ بلاد الشام واستمرت في لعب دور سياسي وعسكري في عصر صلاح الدين كأقلية عرقية ودينية. وقد أقر السلطان صلاح الدين بحقوق الدروز وامتيازاتهم.

ب- دور السامريين: كان للسامريين وجود في فلسطين خلال العصر الأيوبي، وكانوا يتمتعون ببعض الحقوق والامتيازات. وقد سمح لهم صلاح الدين بممارسة شعائرهم الدينية وإقامة معابدهم.[216]

وعلى الرغم من محدودية التمثيل السياسي المباشر للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، إلا أن هذا التمثيل غير المباشر من خلال القيادات الدينية والاجتماعية كان كافياً لضمان حقوقهم ومصالحهم. وقد ساهم هذا التنظيم في استقرار الأوضاع في القدس، وتعزيز التعايش بين مختلف الطوائف الدينية في المدينة المقدسة.

وفي الختام، يمكن القول إن الأوضاع القانونية والإدارية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي تعكس روح التسامح والعدل التي تميزت بها الحضارة الإسلامية، وتقدم نموذجاً تاريخياً للتعايش والتسامح الديني في مدينة تعد من أقدس المدن لدى الديانات السماوية الثلاث.

---

[215] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 238.

[216] سيد الأهل، *فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي*، 239.

الفصل الرابع

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي

1.4. الأوضاع الاقتصادية للأقليات الدينية

1.1.4. المهن والحرف التي مارسها المسيحيون واليهود في القدس

شهدت مدينة القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) تنوعاً كبيراً في المهن والحرف التي مارستها الأقليات الدينية، وخاصة المسيحيون واليهود. وقد ساهم التسامح الديني الذي انتهجه صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه في إتاحة الفرصة لهذه الأقليات لممارسة أنشطتها الاقتصادية بحرية، مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة المقدسة.

1. المهن التي اشتهر بها المسيحيون في القدس:

اشتهر المسيحيون في القدس خلال العصر الأيوبي بممارسة العديد من المهن والحرف، ومن أبرزها:

أ- مهنة النجارة: كانت من أهم المهن التي برع فيها المسيحيون في القدس، وذلك لارتباطها بالسيد المسيح عليه السلام ويوسف النجار. أن "النصارى في بيت المقدس كانوا يتوارثون مهنة النجارة أباً عن جد، ويعتبرونها من المهن المقدسة لديهم".[217] وقد برعوا في صناعة الأثاث الخشبي والأبواب والنوافذ المزخرفة، وكانت منتجاتهم تحظى بإقبال كبير من سكان المدينة.

ب- الحرف المرتبطة بالخدمات الدينية والسياحة: عمل العديد من المسيحيين في مهن مرتبطة بالخدمات الدينية والسياحة الدينية، مثل الإرشاد السياحي للحجاج المسيحيين الذين كانوا يفدون إلى القدس لزيارة الأماكن المقدسة. إلى أن "صلاح الدين سمح للنصارى بتقديم

---

[217] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 245/3.

الخدمات للحجاج القادمين من بلاد الإفرنج لزيارة كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المقدسة".[218]

ت- صناعة الزجاج والفخار: برع المسيحيون في القدس في صناعة الزجاج والفخار، وكانت منتجاتهم تصدر إلى مختلف أنحاء العالم. حيث أن "صناع الزجاج من النصارى في بيت المقدس كانوا يصنعون قناديل وأواني زجاجية بديعة الصنع، وكانت تباع في أسواق المدينة وتصدر إلى بلاد الشام ومصر".[219]

ث- الوراقة وصناعة الكتب: مارس بعض المسيحيين في القدس مهنة الوراقة وصناعة الكتب، وكان لهم دور في نسخ الكتب وتجليدها. ان "بعض النصارى في بيت المقدس كانوا يعملون في نسخ الكتب وتجليدها، وكانت لهم دكاكين في سوق الوراقين".[220]

2. المهن التي اشتهر بها اليهود في القدس:

أما اليهود في القدس خلال العصر الأيوبي، فقد اشتهروا بممارسة المهن التالية:

أ- الصياغة وصناعة المجوهرات: برع اليهود في مهنة الصياغة وصناعة المجوهرات، وكانت لهم دكاكين خاصة في أسواق القدس. "اليهود في بيت المقدس كانوا من أمهر الصاغة، وكانت مصنوعاتهم من الذهب والفضة تحظى بإقبال كبير من سكان المدينة والزوار".[221]

ب- التجارة: مارس اليهود التجارة بمختلف أنواعها، وخاصة التجارة الدولية بين الشرق والغرب. يشير المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" إلى أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يتاجرون مع مختلف البلدان، وكانت لهم علاقات تجارية مع إخوانهم في مصر والشام وبلاد الإفرنج".[222]

---

[218] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 178/3.

[219] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 215.

[220] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 312/10.

[221] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 247/3.

[222] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004)، 156/28.

ت- الطب والصيدلة: عمل بعض اليهود في مهن الطب والصيدلة، وكان لهم مكانة في هذا المجال. "بعض الأطباء اليهود في بيت المقدس كانوا يعالجون المرضى من مختلف الطوائف، وكانت لهم دراية واسعة بالأدوية والعقاقير".[223]

ث- صناعة النسيج والملابس: اشتغل بعض اليهود في صناعة النسيج والملابس، وكانت منتجاتهم تحظى بشهرة واسعة. "اليهود في بيت المقدس كانوا يصنعون أنواعاً مختلفة من الأقمشة والملابس، وكانت تباع في أسواق المدينة".[224]

3. العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والأقليات الدينية:

تميزت العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بالتعاون والتكامل، حيث كان هناك تبادل للمنتجات والخدمات بين مختلف الطوائف. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "المسلمين والنصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض في الأسواق، وكان كل منهم يشتري من الآخر ما يحتاج إليه من سلع وخدمات".[225]

كما سمحت السلطة الأيوبية للأقليات الدينية بممارسة أنشطتها الاقتصادية بحرية، مع فرض بعض القيود التي كانت سائدة في ذلك العصر، مثل دفع الجزية والالتزام بالشروط العمرية. يشير إلى أن "صلاح الدين وخلفاءه من الأيوبيين كانوا يعاملون أهل الذمة بالعدل والإنصاف، ويسمحون لهم بممارسة أنشطتهم الاقتصادية بحرية، مع الالتزام بدفع الجزية والضرائب المقررة عليهم".[226]

وهكذا، نجد أن الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي قد مارست مجموعة متنوعة من المهن والحرف، وساهمت بشكل فعال في الحياة الاقتصادية للمدينة المقدسة، في ظل سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون.

---

[223] موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: نزار رضا، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، 487.

[224] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 217.

[225] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 249/3.

[226] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين* ، 180/3.

2.1.4. الملكية العقارية للأقليات الدينية في القدس

شكلت الملكية العقارية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي (583-658هـ/1187-1260م) جانباً مهماً من جوانب الحياة الاقتصادية لهذه الفئات، وقد تأثرت بالسياسة العامة التي انتهجها الأيوبيون تجاه أهل الذمة. ويمكن تناول هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

1. حقوق الملكية العقارية للأقليات الدينية:

منح الأيوبيون الأقليات الدينية في القدس حق التملك العقاري، وذلك في إطار سياسة التسامح الديني التي انتهجوها. " سمح صلاح الدين للنصارى واليهود بامتلاك العقارات في بيت المقدس، وأقرهم على ما كان بأيديهم من أملاك قبل دخول الصليبيين إلى المدينة".[227] وهذا يدل على حرص الأيوبيين على إعادة الحقوق إلى أصحابها، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية.

أمر صلاح الدين برد الأملاك التي كانت بيد النصارى واليهود قبل الاحتلال الصليبي إليهم، وسمح لهم بالتصرف فيها بالبيع والشراء والإيجار.[228] وهذا يعكس مدى التزام الأيوبيين بمبادئ العدل والإنصاف في التعامل مع الأقليات الدينية.

2. الأملاك الكنسية والوقفية المسيحية:

تمتعت الكنائس والمؤسسات الدينية المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي بحق امتلاك العقارات والأراضي، وكان لها أوقاف خاصة بها. أقر صلاح الدين الكنائس على ما كان لها من أوقاف وأملاك، وسمح لها بإدارتها والإشراف عليها.[229]

وقد شملت الأملاك الكنسية في القدس خلال العصر الأيوبي العديد من العقارات والأراضي، مثل كنيسة القيامة وما يتبعها من مبانٍ وأراضٍ، وكنيسة المهد في بيت لحم، والعديد

---

[227] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 250/3.

[228] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 182/3.

[229] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 220.

من الأديرة والكنائس الأخرى. كانت تمتلك كنيسة القيامة في بيت المقدس العديد من العقارات والأراضي، وكان لها دخل كبير من ريع هذه الأملاك.[230]

كما كان للكنائس والمؤسسات الدينية المسيحية أوقاف خاصة بها، كانت تنفق من ريعها على احتياجاتها ونشاطاتها الدينية والخيرية. كانت الكنائس في بيت المقدس لها أوقاف كثيرة، وكانت تنفق من ريعها على الفقراء والمحتاجين من النصارى، وعلى صيانة المباني الكنسية وترميمها.[231]

3. الأملاك اليهودية في القدس:

أما بالنسبة لليهود في القدس خلال العصر الأيوبي، فقد سمح لهم أيضاً بامتلاك العقارات والأراضي، وكان لهم حي خاص بهم في المدينة. كانوا اليهود في بيت المقدس يسكنون في حي خاص بهم في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وكانوا يمتلكون العديد من المنازل والدكاكين فيه.[232]

وقد سمح الأيوبيون لليهود بإنشاء أوقاف خاصة بهم في القدس، لدعم مؤسساتهم الدينية والخيرية. سمح "صلاح الدين لليهود بإنشاء أوقاف لدعم كنسهم ومدارسهم الدينية في بيت المقدس".[233] وهذا يدل على مدى التسامح الديني الذي تمتع به اليهود في ظل الحكم الأيوبي.

كما سمح العثمانيون فيما بعد لليهود بالشراء لصالح بناء وإنشاء الأوقاف الخاصة بهم بالقدس، لليهود القاطنين والزوّار، وهذا امتداد للسياسة التي بدأها الأيوبيون تجاه اليهود في القدس.[234]

4. القيود المفروضة على الملكية العقارية للأقليات:

رغم التسامح الذي أبداه الأيوبيون تجاه الأقليات الدينية في مجال الملكية العقارية، إلا أنه كانت هناك بعض القيود المفروضة عليهم، وذلك تماشياً مع الشروط العمرية التي كانت تنظم

---

[230] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 315/10.

[231] النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 160/28.

[232] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 252/3.

[233] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 185/3.

[234] العارف، *المفصل في تاريخ القدس*، 378.

العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة في الدولة الإسلامية. كانوا "أهل الذمة في بيت المقدس ممنوعين من امتلاك العقارات في بعض المناطق المقدسة، مثل محيط المسجد الأقصى والحرم الشريف".[235]

كما كان هناك قيود على ارتفاع مباني أهل الذمة، حيث كان يجب ألا تعلو على مباني المسلمين. إلا أن "أهل الذمة في بيت المقدس كانوا ملزمين بألا تعلو منازلهم على منازل المسلمين، وذلك تطبيقاً للشروط العمرية.[236]

ورغم هذه القيود، فإن الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي تمتعت بحقوق واسعة في مجال الملكية العقارية، وكان لها دور بارز في الحياة الاقتصادية للمدينة المقدسة.

3.1.4. التجارة والأسواق ودور الأقليات الدينية فيها

شكلت التجارة والأسواق في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) عصب الحياة الاقتصادية في المدينة المقدسة، وكان للأقليات الدينية، وخاصة المسيحيين واليهود، دور بارز ومهم في هذا المجال. وقد ساهمت سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون في ازدهار النشاط التجاري وتنوعه في القدس.

1. مشاركة الأقليات الدينية في الأسواق المقدسية:

تمتعت الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بحرية واسعة في ممارسة النشاط التجاري، وكان لها حضور قوي في أسواق المدينة المختلفة. حيث أن "النصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يملكون العديد من الدكاكين والمتاجر في أسواق المدينة، وكانوا يتاجرون في مختلف أنواع السلع والبضائع".[237]

وقد تنوعت الأسواق التي شارك فيها المسيحيون واليهود في القدس، فشملت سوق القطانين، وسوق الصاغة، وسوق النجارين، وسوق الوراقين، وغيرها من الأسواق المتخصصة. "

---

[235] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 222.

[236] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 318/10.

[237] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 255/3.

كانت أسواق بيت المقدس في عهد صلاح الدين تضم تجاراً من مختلف الطوائف، وكان المسلمون والنصارى واليهود يتعاملون مع بعضهم البعض في جو من التسامح والاحترام المتبادل".[238]

كما برع المسيحيون في تجارة المنتجات الحرفية، مثل الأثاث الخشبي والمنتجات الزجاجية والفخارية، بينما اشتهر اليهود بتجارة المجوهرات والمعادن الثمينة والأقمشة. "كانوا النصارى في بيت المقدس يبيعون منتجاتهم الحرفية في أسواق المدينة، وكانت تحظى بإقبال كبير من السكان والزوار، بينما اليهود كانوا يتاجرون في الذهب والفضة والأحجار الكريمة".[239]

2. التجارة الداخلية والخارجية:

لعبت الأقليات الدينية في القدس دوراً مهماً في التجارة الداخلية والخارجية خلال العصر الأيوبي. فعلى صعيد التجارة الداخلية، كانوا يتاجرون مع مختلف مدن الشام ومصر، ويستوردون ويصدرون البضائع المختلفة. إلا أن "تجار النصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يسافرون إلى دمشق وحلب والقاهرة للتجارة، وكانوا يحملون معهم منتجات القدس ويعودون بالبضائع التي تحتاجها المدينة".[240]

أما على صعيد التجارة الخارجية، فقد كان للأقليات الدينية في القدس علاقات تجارية مع أوروبا وبيزنطة والهند وغيرها من البلدان. " كانوا اليهود في بيت المقدس يتاجرون مع إخوانهم في مختلف أنحاء العالم، وكانت لهم شبكة تجارية واسعة تمتد من الأندلس غرباً إلى الهند شرقاً".[241]

كما استفاد المسيحيون من علاقاتهم مع الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا لزيارة الأماكن المقدسة في القدس، حيث كانوا يبيعون لهم التذكارات والمنتجات المحلية.[242]

3. العلاقات التجارية مع أوروبا والدول المجاورة:

---

[238] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 188/3.

[239] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 225.

[240] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 320/10.

[241] النويري، *نهاية الأرب*، 165/28.

[242] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 258/3.

تطورت العلاقات التجارية بين الأقليات الدينية في القدس والدول الأوروبية والمجاورة خلال العصر الأيوبي، رغم الصراع العسكري مع الصليبيين. فقد كان هناك تبادل تجاري مستمر بين القدس وموانئ البحر المتوسط، مثل عكا ويافا وصور وصيدا. إن التجارة بين بيت المقدس والموانئ الساحلية كانت مستمرة حتى في أوقات الحرب، وكان التجار من النصارى واليهود يلعبون دوراً مهماً في هذه التجارة.[243]

كما كانت هناك علاقات تجارية مع بيزنطة والإمارات الصليبية المجاورة، حيث كان التجار يتبادلون البضائع رغم الخلافات السياسية والدينية. كانوا التجار في بيت المقدس يتاجرون مع الإمارات الصليبية في أنطاكية وطرابلس، وكان هناك تبادل للبضائع والمنتجات بين الطرفين.[244]

وقد استفادت الأقليات الدينية من معرفتها باللغات المختلفة وعلاقاتها مع أبناء دينها في البلدان الأخرى، مما سهل عليها ممارسة التجارة الخارجية. حيث كان اليهود والنصارى في بيت المقدس يتقنون عدة لغات، مما ساعدهم في التواصل مع التجار الأجانب وتسهيل المعاملات التجارية معهم.[245]

4. الضرائب والرسوم التجارية المفروضة على الأقليات:

فرضت السلطة الأيوبية على الأقليات الدينية في القدس مجموعة من الضرائب والرسوم التجارية، وذلك في إطار النظام الضريبي العام للدولة. وكانت هذه الضرائب تشمل الجزية، والخراج، ورسوم الأسواق، وضرائب التجارة.[246] وقد تنوعت هذه الضرائب حسب نوع النشاط التجاري ومقدار الأرباح. ضرائب التجارة المفروضة على النصارى واليهود في بيت المقدس كانت تتراوح بين 2.5% و5% من قيمة البضائع، حسب نوعها ومصدرها.[247]

---

[243] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 190/3.

[244] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 228.

[245] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 322/10.

[246] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 260/3.

[247] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 192/3.

ورغم هذه الضرائب، فإن الأقليات الدينية في القدس استطاعت تحقيق أرباح جيدة من أنشطتها التجارية، وساهمت بشكل فعال في الحياة الاقتصادية للمدينة المقدسة خلال العصر الأيوبي.

4.1.4. الأوقاف الدينية للمسيحيين واليهود في القدس

شكلت الأوقاف الدينية للأقليات في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) جانباً مهماً من جوانب الحياة الاقتصادية والدينية لهذه الفئات، وقد أسهمت في دعم مؤسساتهم الدينية والخيرية والتعليمية. ويمكن تناول هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

1. نظام الأوقاف المسيحية وإدارتها

سمح الأيوبيون للمسيحيين في القدس بإنشاء أوقاف خاصة بهم وإدارتها، وذلك في إطار سياسة التسامح الديني التي انتهجوها. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "صلاح الدين أقر الكنائس والأديرة المسيحية في بيت المقدس على ما كان لها من أوقاف، وسمح لها بإدارتها والإشراف عليها".[248]

وقد تنوعت الأوقاف المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي، فشملت الأراضي الزراعية، والعقارات، والدكاكين، والحمامات، وغيرها من الممتلكات التي كان ريعها يُنفق على المؤسسات الدينية والخيرية المسيحية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "كنيسة القيامة في بيت المقدس كانت تمتلك العديد من الأوقاف، منها أراضٍ زراعية في محيط المدينة، ودكاكين في الأسواق، وكان ريعها يُنفق على احتياجات الكنيسة وخدماتها".[249]

كانت إدارة الأوقاف المسيحية تتم من قبل رجال الدين المسيحيين، وخاصة البطاركة والأساقفة، الذين كانوا يشرفون على جمع الإيرادات وتوزيعها على المؤسسات الدينية والخيرية. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "بطريرك القدس كان

---

[248] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 265/3.

[249] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 195/3.

يشرف على أوقاف الكنائس والأديرة في المدينة، ويتولى توزيع ريعها على المؤسسات الدينية والخيرية المسيحية".[250]

2. الأوقاف اليهودية وأهميتها الاقتصادية:

أما بالنسبة لليهود في القدس خلال العصر الأيوبي، فقد سمح لهم أيضاً بإنشاء أوقاف خاصة بهم وإدارتها. يذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن "صلاح الدين سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها في عهد الصليبيين، وأقرهم على ما كان لهم من أوقاف قبل الاحتلال الصليبي".[251]

وقد تنوعت الأوقاف اليهودية في القدس، فشملت الكنس والمدارس الدينية والمؤسسات الخيرية. يشير المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" إلى أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يمتلكون أوقافاً خاصة بهم، منها عقارات ودكاكين في الحي اليهودي، وكان ريعها يُنفق على الكنس والمدارس الدينية اليهودية".[252]

كانت الأوقاف اليهودية تلعب دوراً مهماً في دعم الحياة الاقتصادية والدينية لليهود في القدس، حيث كانت توفر الدعم المالي للمؤسسات الدينية والتعليمية والخيرية. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "الأوقاف اليهودية في بيت المقدس كانت تسهم في توفير الدعم المالي للفقراء والمحتاجين من اليهود، وفي تمويل المدارس الدينية والكنس".[253]

3. دور الأوقاف في دعم المؤسسات الدينية والخيرية

لعبت الأوقاف الدينية للمسيحيين واليهود في القدس دوراً مهماً في دعم المؤسسات الدينية والخيرية لهذه الأقليات. فقد كانت توفر الدعم المالي اللازم لصيانة وترميم دور العبادة، وتمويل المدارس الدينية، ورعاية الفقراء والمحتاجين. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "أوقاف

---

[250] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 230.

[251] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 325/10.

[252] النويري، *نهاية الأرب*، 170/28.

[253] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 268/3.

الكنائس والأديرة في بيت المقدس كانت تُنفق على صيانة وترميم المباني الكنسية، وعلى احتياجات رجال الدين، وعلى مساعدة الفقراء والمحتاجين من المسيحيين".[254]

كما كانت الأوقاف تسهم في تمويل المستشفيات والمؤسسات الصحية التي كانت تقدم خدماتها للمرضى والمحتاجين. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "بعض الأوقاف المسيحية في بيت المقدس كانت مخصصة لدعم المستشفيات والمؤسسات الصحية التي كانت تقدم الرعاية الطبية للمرضى والمحتاجين".[255]

وبالنسبة لليهود، فقد كانت الأوقاف تسهم في دعم المدارس الدينية (اليشيفوت) التي كانت تعلم الشباب اليهودي التوراة والتلمود. يشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن "الأوقاف اليهودية في بيت المقدس كانت تُنفق على المدارس الدينية التي كانت تعلم الشباب اليهودي التوراة والتلمود، وعلى مساعدة الفقراء والمحتاجين من اليهود".[256]

4. موقف السلطة الأيوبية من أوقاف الأقليات الدينية:

اتسم موقف السلطة الأيوبية من أوقاف الأقليات الدينية في القدس بالتسامح والاحترام، حيث سمحت لهذه الأقليات بإنشاء أوقاف خاصة بها وإدارتها. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "صلاح الدين وخلفاءه من الأيوبيين كانوا يحترمون أوقاف النصارى واليهود في بيت المقدس، ويسمحون لهم بإدارتها والإشراف عليها".[257]

وقد حرصت السلطة الأيوبية على حماية هذه الأوقاف من الاعتداء والتعدي، وذلك في إطار سياستها العامة في حماية حقوق الأقليات الدينية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "صلاح الدين أمر بحماية أوقاف النصارى واليهود في بيت المقدس، ومنع الاعتداء عليها أو التعدي على حقوقها".[258]

---

[254] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 198/3.

[255] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 232.

[256] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 328/10.

[257] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 270/3.

[258] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 200/3.

كما سمحت السلطة الأيوبية للأقليات الدينية بتوسيع أوقافها وزيادتها، وذلك من خلال قبول الهبات والوصايا من أتباع هذه الأقليات. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "صلاح الدين سمح للنصارى واليهود في بيت المقدس بقبول الهبات والوصايا من أتباعهم، وإضافتها إلى أوقافهم القائمة".[259]

وهكذا، نجد أن الأوقاف الدينية للمسيحيين واليهود في القدس خلال العصر الأيوبي قد لعبت دوراً مهماً في دعم الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الأقليات، وأن السلطة الأيوبية قد تعاملت مع هذه الأوقاف بتسامح واحترام، مما أسهم في استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المدينة المقدسة.

2.4. الأوضاع الاجتماعية للأقليات الدينية

1.2.4. التوزيع السكاني والديموغرافي للأقليات الدينية في القدس

شهدت مدينة القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) تغيرات ديموغرافية وسكانية مهمة، خاصة بعد تحريرها من الاحتلال الصليبي على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م. وقد أثرت هذه التغيرات على التوزيع السكاني للأقليات الدينية في المدينة المقدسة، وعلى العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية.

1. التركيبة السكانية للقدس بعد التحرير:

تغيرت التركيبة السكانية لمدينة القدس بشكل كبير بعد تحريرها من الاحتلال الصليبي، حيث عاد المسلمون إلى المدينة بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها خلال فترة الاحتلال. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سمح للمسلمين بالعودة إلى المدينة والاستقرار فيها، وأصبحوا يشكلون الأغلبية السكانية".[260]

كما سمح صلاح الدين للمسيحيين الشرقيين (الأرثوذكس والسريان والأقباط والأرمن) بالبقاء في المدينة، بينما سمح للمسيحيين الغربيين (اللاتين) بمغادرة المدينة بعد دفع فدية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "صلاح

---

[259] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 235.

[260] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 275/3.

الدين سمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في بيت المقدس، لأنهم كانوا من أهل البلاد الأصليين، بينما سمح للمسيحيين الغربيين بمغادرة المدينة بعد دفع فدية قدرها عشرة دنانير للرجل، وخمسة دنانير للمرأة، ودينارين للطفل.[261]

أما بالنسبة لليهود، فقد سمح لهم صلاح الدين بالعودة إلى القدس بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها خلال فترة الاحتلال الصليبي. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "صلاح الدين سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس والاستقرار فيها، بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها في عهد الصليبيين".[262]

2. توزيع الأحياء السكنية للأقليات الدينية

تميزت القدس خلال العصر الأيوبي بتوزيع سكاني خاص، حيث كانت كل طائفة دينية تسكن في حي خاص بها. يذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن "سكان بيت المقدس في عهد الأيوبيين كانوا موزعين على أحياء مختلفة حسب انتماءاتهم الدينية، فكان المسلمون يسكنون في الأحياء المحيطة بالمسجد الأقصى والحرم الشريف، بينما كان المسيحيون يسكنون في الأحياء الغربية من المدينة، واليهود في الحي الجنوبي الشرقي".[263]

وقد تركزت الأحياء المسيحية في الجهة الغربية من المدينة، خاصة حول كنيسة القيامة. يشير المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" إلى أن "المسيحيين في بيت المقدس كانوا يسكنون في الأحياء الغربية من المدينة، وخاصة حول كنيسة القيامة، وكانت هذه الأحياء تضم كنائس وأديرة ومؤسسات دينية مسيحية مختلفة".[264]

أما اليهود، فقد سكنوا في حي خاص بهم في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وهو ما يعرف بحارة اليهود. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يسكنون في حي

---

[261] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 205/3.

[262] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 240.

[263] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 330/10.

[264] النويري، *نهاية الأرب*، 175/28.

خاص بهم في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وكان هذا الحي يضم كنساً ومدارس دينية يهودية".[265]

3. التغيرات الديموغرافية خلال العصر الأيوبي

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي تغيرات ديموغرافية مهمة، نتيجة للسياسات التي انتهجها الأيوبيون، والأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "عدد سكان بيت المقدس ازداد بشكل كبير خلال العصر الأيوبي، نتيجة لعودة المسلمين إلى المدينة، واستقرار المسيحيين الشرقيين واليهود فيها".[266]

كما أثرت الهجرات الداخلية والخارجية على التركيبة السكانية للمدينة. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "بيت المقدس استقبلت خلال العصر الأيوبي العديد من المهاجرين من مختلف المناطق، وخاصة من المناطق التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، مما أدى إلى تنوع سكاني وثقافي في المدينة".[267]

ومن التغيرات الديموغرافية المهمة التي شهدتها القدس خلال العصر الأيوبي، إنشاء حارة المغاربة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "الأفضل علي، ابن صلاح الدين، أوقف حارة المغاربة على المغاربة عام 589هـ/1193م، وهي المنطقة التي كانت تعرف سابقاً بحارة الشرف، وأصبحت مخصصة للمغاربة القادمين إلى بيت المقدس للدراسة والعبادة".[268]

4. العلاقات بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم:

تميزت العلاقات بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم في القدس خلال العصر الأيوبي بالتسامح والتعايش السلمي، رغم وجود بعض القيود التي كانت مفروضة على أهل الذمة وفقاً

---

[265] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 278/3.

[266] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 208/3.

[267] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 242.

[268] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 332/10.

للشروط العمرية. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "المسلمين والنصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يعيشون في تعايش سلمي، ويتعاملون مع بعضهم البعض في مختلف مجالات الحياة".[269]

وقد ساهمت سياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين وخلفاؤه في تعزيز هذا التعايش السلمي. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "صلاح الدين عامل النصارى واليهود في بيت المقدس بالعدل والإنصاف، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، مما أدى إلى استقرار الأوضاع الاجتماعية في المدينة".[270]

كما كان هناك تفاعل اجتماعي وثقافي بين مختلف الطوائف الدينية في القدس. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "سكان بيت المقدس من مختلف الطوائف كانوا يتبادلون الزيارات في المناسبات الاجتماعية، ويشاركون في الاحتفالات العامة، مما أدى إلى تقارب اجتماعي وثقافي بينهم".[271]

وهكذا، نجد أن التوزيع السكاني والديموغرافي للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي قد تأثر بالسياسات التي انتهجها الأيوبيون، وبالأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة، وأن العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية تميزت بالتسامح والتعايش السلمي، رغم وجود بعض القيود التي كانت مفروضة على أهل الذمة.

2.2.4. الحياة اليومية والثقافية للأقليات الدينية في القدس

تميزت الحياة اليومية والثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) بالتنوع والثراء، وذلك في ظل سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون. وقد انعكس هذا التنوع على مختلف جوانب الحياة اليومية والثقافية لهذه الأقليات، من عادات وتقاليد، وملابس، وطعام، ونشاطات ثقافية ودينية.

1. العادات والتقاليد الاجتماعية:

---

[269] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 280/3.

[270] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 210/3.

[271] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 245.

تميزت الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بعادات وتقاليد اجتماعية خاصة بها، وقد سمح لها الأيوبيون بممارسة هذه العادات والتقاليد بحرية، مع بعض القيود التي كانت مفروضة وفقاً للشروط العمرية. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "النصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية بحرية، ويحتفلون بأعيادهم ومناسباتهم الدينية.[272]

وقد تنوعت العادات والتقاليد الاجتماعية للمسيحيين في القدس، فشملت الاحتفال بالأعياد المسيحية، مثل عيد الميلاد وعيد الفصح، وإقامة الاحتفالات والمراسم الدينية في الكنائس والأديرة. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "المسيحيين في بيت المقدس كانوا يحتفلون بأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وخاصة عيد الفصح، حيث كانوا يقيمون احتفالات كبيرة في كنيسة القيامة، ويشعلون النار المقدسة".[273]

أما اليهود، فقد كانت لهم أيضاً عادات وتقاليد اجتماعية خاصة بهم، مثل الاحتفال بالسبت وبالأعياد اليهودية، مثل عيد الفصح اليهودي (بيساح) وعيد المظال (سوكوت) وعيد الغفران (يوم كيبور). يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يحتفلون بالسبت وبأعيادهم الدينية، ويقيمون الصلوات والمراسم الدينية في كنسهم".[274]

2. الملابس والأزياء

تميزت الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي بملابس وأزياء خاصة بها، وكانت هذه الملابس تعكس هويتها الدينية والثقافية. وقد فرضت الشروط العمرية على أهل الذمة ارتداء ملابس تميزهم عن المسلمين، وذلك لتسهيل التعرف عليهم. يذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن "أهل الذمة في بيت المقدس كانوا ملزمين بارتداء ملابس تميزهم عن المسلمين، وفقاً للشروط العمرية.[275]

---

[272] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 285/3.

[273] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 215/3.

[274] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 250.

[275] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 335/10.

وقد تميز المسيحيون في القدس بارتداء ملابس ذات ألوان محددة، مثل الأزرق والأسود، وكانوا يضعون على رؤوسهم قلنسوة زرقاء أو سوداء. يشير المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" إلى أن "النصارى في بيت المقدس كانوا يرتدون ملابس ذات ألوان داكنة، وخاصة الأزرق والأسود، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة زرقاء أو سوداء"[276]

أما اليهود، فقد تميزوا بارتداء ملابس ذات ألوان صفراء، وكانوا يضعون على رؤوسهم قلنسوة صفراء. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يرتدون ملابس ذات ألوان صفراء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة صفراء، تميزهم عن غيرهم من السكان"[277]

3. الطعام والمأكولات:

تنوعت المأكولات والأطعمة التي كانت تتناولها الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، وكانت هذه المأكولات تعكس هويتها الدينية والثقافية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "النصارى واليهود في بيت المقدس كانت لهم مأكولات وأطعمة خاصة بهم، وكانوا يتناولونها في مناسباتهم وأعيادهم الدينية.[278]

وقد تميز المسيحيون في القدس بتناول أطعمة خاصة في أعيادهم ومناسباتهم الدينية، مثل كعك العيد في عيد الفصح، والحلويات المختلفة في عيد الميلاد. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "النصارى في بيت المقدس كانوا يصنعون كعك العيد في عيد الفصح، ويتبادلونه فيما بينهم، ويقدمونه للضيوف".[279]

أما اليهود، فقد كانت لهم أيضاً مأكولات وأطعمة خاصة بهم، وخاصة في أعيادهم الدينية، مثل خبز الفطير (الماتزا) في عيد الفصح اليهودي. يشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يصنعون خبز الفطير في عيد الفصح، ويتناولونه طوال أيام العيد، وفقاً لتعاليمهم الدينية".[280]

---

[276] النويري، *نهاية الأرب*، 180/28.

[277] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 288/3.

[278] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 218/3.

[279] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 252.

[280] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 338/10.

4. النشاطات الثقافية والدينية:

تنوعت النشاطات الثقافية والدينية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، وشملت الاحتفالات الدينية، والدراسات الدينية، والنشاطات الفنية والأدبية. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "النصارى واليهود في بيت المقدس كانت لهم نشاطات ثقافية ودينية متنوعة، وكانوا يمارسونها في مؤسساتهم الدينية والثقافية".[281]

وقد تميز المسيحيون في القدس بإقامة الاحتفالات والمراسم الدينية في الكنائس والأديرة، وخاصة في كنيسة القيامة، التي كانت مركزاً للنشاطات الدينية المسيحية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "كنيسة القيامة في بيت المقدس كانت مركزاً للنشاطات الدينية المسيحية، وكانت تقام فيها الاحتفالات والمراسم الدينية في الأعياد والمناسبات المختلفة".[282]

كما كان للمسيحيين في القدس نشاطات ثقافية متنوعة، مثل نسخ الكتب الدينية وتزيينها، وإنتاج الفنون المختلفة، مثل الأيقونات والمنحوتات. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "النصارى في بيت المقدس كانوا ينسخون الكتب الدينية ويزينونها بالرسوم والزخارف، وكانوا ينتجون الأيقونات والمنحوتات الدينية".[283]

أما اليهود، فقد كانت لهم أيضاً نشاطات ثقافية ودينية متنوعة، مثل دراسة التوراة والتلمود في المدارس الدينية (اليشيفوت)، وإنتاج المخطوطات الدينية. يشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يدرسون التوراة والتلمود في مدارسهم الدينية، وكانوا ينسخون المخطوطات الدينية ويزينونها".[284]

5. التفاعل الثقافي بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي تفاعلاً ثقافياً بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم، وذلك في مختلف مجالات الحياة الثقافية والفكرية. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "المسلمين والنصارى

---

[281] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 290/3.

[282] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 220/3.

[283] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 255.

[284] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 340/10.

واليهود في بيت المقدس كانوا يتفاعلون ثقافياً وفكرياً، ويتبادلون المعارف والخبرات في مختلف المجالات.[285]

وقد تجلى هذا التفاعل الثقافي في مجالات مختلفة، مثل الطب والعلوم والفلسفة والأدب. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "الأطباء من مختلف الطوائف الدينية في بيت المقدس كانوا يتبادلون المعارف والخبرات الطبية، ويتعاونون في علاج المرضى".[286]

كما كان هناك تأثير متبادل بين الثقافات المختلفة في مجال الفنون والعمارة. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "الفنون والعمارة في بيت المقدس خلال العصر الأيوبي تأثرت بالتفاعل بين الثقافات المختلفة، وظهرت أعمال فنية ومعمارية تجمع بين عناصر من مختلف الثقافات".[287]

وهكذا، نجد أن الحياة اليومية والثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي تميزت بالتنوع والثراء، وأن هذه الأقليات تمتعت بحرية نسبية في ممارسة عاداتها وتقاليدها وأنشطتها الثقافية والدينية، في ظل سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون.

3.2.4. العلاقات الاجتماعية بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم

تميزت العلاقات الاجتماعية بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) بطابع خاص، حيث جمعت بين التسامح الديني من جهة، والالتزام بالضوابط الشرعية التي تنظم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من جهة أخرى. وقد أثرت سياسة صلاح الدين الأيوبي وخلفائه تجاه الأقليات الدينية بشكل كبير على طبيعة هذه العلاقات.

1. سياسة التسامح الديني عند الأيوبيين:

اتسمت سياسة الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية في القدس بالتسامح والعدل، وهو ما انعكس إيجاباً على العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطوائف الدينية. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "صلاح الدين عامل النصارى واليهود في بيت المقدس

---

[285] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 292/3.

[286] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 222/3.

[287] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 258.

بالعدل والإنصاف، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، مما أدى إلى استقرار الأوضاع الاجتماعية في المدينة".[288]

وقد تجلت سياسة التسامح الديني عند صلاح الدين في معاملته للمسيحيين بعد تحرير القدس، حيث سمح لهم بالبقاء في المدينة والاحتفاظ بممتلكاتهم، ولم يقابل قسوة الصليبيين عند احتلالهم للقدس بقسوة مماثلة. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "صلاح الدين لم يقتل أحداً من النصارى بعد تحرير بيت المقدس، ولم يأخذ أموالهم، بل سمح لهم بالخروج من المدينة بأمان بعد دفع الفدية، وهذا على عكس ما فعله الصليبيون عند احتلالهم للمدينة، حيث قتلوا معظم سكانها من المسلمين واليهود".[289]

كما سمح صلاح الدين لليهود بالعودة إلى القدس بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها خلال فترة الاحتلال الصليبي. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "صلاح الدين سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس والاستقرار فيها، بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها في عهد الصليبيين، وأقطعهم أماكن للسكن والعبادة.[290]

وقد استمرت سياسة التسامح الديني مع خلفاء صلاح الدين من الأيوبيين، مما أدى إلى استقرار العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطوائف الدينية في القدس. يشير المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" إلى أن "الملك العادل، أخو صلاح الدين، والملك المعظم عيسى، ابن العادل، استمرا في سياسة التسامح الديني تجاه النصارى واليهود في بيت المقدس، وسمحا لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية".[291]

2. تطبيق الشروط العمرية وأثرها على العلاقات الاجتماعية

رغم سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون، إلا أنهم التزموا بتطبيق الشروط العمرية التي تنظم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة في الدولة الإسلامية. يذكر المؤرخ شهاب

---

[288] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 295/3.

[289] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 225/3.

[290] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 260.

[291] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 345/10.

الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" أن "الأيوبيين طبقوا الشروط العمرية على أهل الذمة في بيت المقدس، وألزموهم بدفع الجزية، وارتداء ملابس تميزهم عن المسلمين، وعدم إظهار شعائرهم الدينية بشكل علني، وعدم بناء كنائس أو كنس جديدة".[292]

وقد أثر تطبيق الشروط العمرية على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة في القدس، حيث فرضت بعض القيود على حرية الأقليات الدينية. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "أهل الذمة في بيت المقدس كانوا ملزمين بعدم ركوب الخيل، وعدم حمل السلاح، وعدم بناء منازل أعلى من منازل المسلمين، وعدم إظهار الصليب أو الخمر في الأماكن العامة".[293]

ومع ذلك، فإن تطبيق الشروط العمرية في القدس خلال العصر الأيوبي كان يتسم بالمرونة والتسامح، ولم يكن صارماً كما كان في بعض الفترات التاريخية الأخرى. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "صلاح الدين وخلفاءه من الأيوبيين كانوا يطبقون الشروط العمرية بمرونة وتسامح، ولم يكونوا متشددين في تطبيقها، مما أدى إلى استقرار العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة في بيت المقدس".[294]

3. التفاعل الاجتماعي بين مختلف الطوائف الدينية

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي تفاعلاً اجتماعياً بين مختلف الطوائف الدينية، وذلك في مختلف مجالات الحياة اليومية. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "المسلمين والنصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض في الأسواق، ويتبادلون السلع والخدمات، ويشاركون في بعض المناسبات الاجتماعية".[295]

وقد تجلى هذا التفاعل الاجتماعي في مجالات مختلفة، مثل التجارة والصناعة والطب. يشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن "التجار من مختلف الطوائف الدينية في بيت المقدس كانوا

---

[292] النويري، *نهاية الأرب*، 185/28.

[293] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 298/3.

[294] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 228/3.

[295] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 262.

يتعاملون مع بعضهم البعض في الأسواق، ويتبادلون البضائع والمنتجات، وكان هناك تعاون بينهم في مجال التجارة".[296]

كما كان هناك تعاون بين الأطباء من مختلف الطوائف الدينية في مجال الطب والعلاج. يذكر المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" أن "الأطباء من المسلمين والنصارى واليهود في بيت المقدس كانوا يتعاونون في علاج المرضى، ويتبادلون المعارف والخبرات الطبية، وكان المرضى من مختلف الطوائف يتلقون العلاج على أيدي أطباء من مختلف الديانات.[297]

وقد امتد التفاعل الاجتماعي إلى المناسبات الاجتماعية والاحتفالات العامة. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "سكان بيت المقدس من مختلف الطوائف كانوا يشاركون في بعض الاحتفالات العامة، مثل الاحتفال بالأعياد الدينية، وكان هناك تبادل للتهاني والهدايا بين الجيران من مختلف الديانات".[298]

4. دور المؤسسات الدينية في تنظيم العلاقات الاجتماعية

لعبت المؤسسات الدينية دوراً مهماً في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطوائف الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "المؤسسات الدينية الإسلامية، مثل المساجد والمدارس والزوايا، كانت تقوم بدور مهم في توعية المسلمين بأحكام التعامل مع أهل الذمة، وتحثهم على معاملتهم بالعدل والإنصاف".[299]

كما كانت المؤسسات الدينية المسيحية واليهودية تقوم بدور مماثل في توجيه أتباعها نحو التعايش السلمي مع المسلمين. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "الكنائس والأديرة المسيحية، والكنس

---

[296] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 348/10.

[297] موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: نزار رضا، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، 495.

[298] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 300/3.

[299] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 230/3.

اليهودية في بيت المقدس كانت تحث أتباعها على احترام القوانين والأنظمة السائدة، والتعايش السلمي مع المسلمين".[300]

وقد ساهمت هذه المؤسسات الدينية في حل النزاعات والخلافات التي كانت تنشأ بين أتباع الديانات المختلفة. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "القضاة المسلمين، ورجال الدين المسيحيين واليهود في بيت المقدس كانوا يتعاونون في حل النزاعات والخلافات التي كانت تنشأ بين أتباع الديانات المختلفة، وكانوا يسعون إلى تحقيق العدل والإنصاف للجميع".[301]

5. شهادات المؤرخين الغربيين حول التسامح الديني في القدس:

أشاد العديد من المؤرخين الغربيين بسياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين وخلفاؤه من الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية في القدس. يذكر المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" أن "صلاح الدين أظهر تسامحاً دينياً كبيراً تجاه المسيحيين بعد تحرير القدس، وهو ما يتناقض مع ما فعله الصليبيون عند احتلالهم للمدينة".[302]

كما أشاد المؤرخ البريطاني ستيفن رنسيمان في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" بسياسة صلاح الدين تجاه الأقليات الدينية، وقال: "إن سلوك صلاح الدين بعد تحرير القدس كان مثالاً للفروسية والتسامح، وقد أثار إعجاب أعدائه قبل أصدقائه".[303]

وقد أكد هذه الشهادات المؤرخ العربي ابن واصل، الذي نقل عن بعض المؤرخين الصليبيين قولهم: "إن صلاح الدين كان أكثر رحمة وتسامحاً مع المسيحيين من بعض ملوكهم وأمرائهم".[304]

وهكذا، نجد أن العلاقات الاجتماعية بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم في القدس خلال العصر الأيوبي تميزت بالتسامح والتعايش السلمي، رغم وجود بعض القيود التي كانت

---

[300] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 265.

[301] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 350/10.

[302] رينيه جروسيه، *تاريخ الحروب الصليبية*، ترجمة: عماد الدين غانم، (بيروت: دار الفكر، 1995)، 150/2.

[303] ستيفن رنسيمان، *تاريخ الحروب الصليبية*، ترجمة: السيد الباز العريني، (بيروت: دار الثقافة، 1997)، 280/2.

[304] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 302/3.

مفروضة على أهل الذمة وفقاً للشروط العمرية. وقد ساهمت سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون في استقرار الأوضاع الاجتماعية في المدينة المقدسة، وفي تعزيز التفاعل الاجتماعي والثقافي بين مختلف الطوائف الدينية.

3.4. المؤسسات الدينية والثقافية للأقليات الدينية

1.3.4. الكنائس والأديرة المسيحية في القدس

شكلت الكنائس والأديرة المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) مراكز دينية وثقافية مهمة للمجتمع المسيحي في المدينة المقدسة. وقد تعامل الأيوبيون مع هذه المؤسسات الدينية بتسامح واحترام، مما أتاح لها الاستمرار في أداء دورها الديني والثقافي والاجتماعي.

1. كنيسة القيامة ومكانتها الدينية:

تُعد كنيسة القيامة أهم الكنائس المسيحية في القدس، وقد حظيت بمكانة خاصة خلال العصر الأيوبي. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس أقر المسيحيين على كنيسة القيامة، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية فيها، وأمر بحمايتها من أي اعتداء".[305]

وقد أظهر صلاح الدين احتراماً كبيراً لكنيسة القيامة ومقدساتها، حيث رفض مشورة بعض مستشاريه بهدمها أو تحويلها إلى مسجد. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "بعض الأمراء نصحوا صلاح الدين بهدم كنيسة القيامة أو تحويلها إلى مسجد، لكنه رفض ذلك وقال: إن المسيحيين سيأتون إليها من كل مكان حتى لو هُدمت، لأن قدسيتها في قلوبهم وليس في بنائها".[306]

كما سمح صلاح الدين للمسيحيين بترميم وصيانة كنيسة القيامة، وأقر الترتيبات الإدارية الخاصة بها. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "صلاح

---

[305] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 3/305.

[306] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 3/235.

الدين سمح للمسيحيين بترميم كنيسة القيامة وصيانتها، وأقر الترتيبات الإدارية الخاصة بها، وسمح للحجاج المسيحيين بزيارتها مقابل دفع رسوم محددة".[307]

وقد استمرت كنيسة القيامة في أداء دورها كمركز ديني مهم للمسيحيين خلال العصر الأيوبي، حيث كانت تقام فيها الصلوات والمراسم الدينية، وخاصة في الأعياد المسيحية الكبرى. يشير المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" إلى أن "كنيسة القيامة في بيت المقدس كانت تشهد احتفالات كبيرة في الأعياد المسيحية، وخاصة عيد الفصح، حيث كان المسيحيون يقيمون مراسم دينية مهيبة".[308]

2. الأديرة المسيحية ودورها الثقافي والتعليمي

لعبت الأديرة المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي دوراً مهماً في الحياة الثقافية والتعليمية للمجتمع المسيحي. يذكر المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" أن "الأديرة المسيحية في بيت المقدس كانت مراكز للتعليم والثقافة، حيث كان الرهبان يعلمون الأطفال المسيحيين القراءة والكتابة والتعاليم الدينية".[309]

ومن أهم الأديرة المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي دير مار سابا، ودير الصليب، ودير مار إلياس، وغيرها من الأديرة التي كانت تضم مكتبات ومدارس دينية. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "دير مار سابا في صحراء يهودا كان من أهم الأديرة المسيحية في المنطقة، وكان يضم مكتبة كبيرة تحتوي على مخطوطات دينية وعلمية مهمة".[310]

كما كانت الأديرة تقوم بدور اجتماعي مهم، حيث كانت تقدم المساعدة للفقراء والمحتاجين من المسيحيين، وتوفر المأوى للحجاج والزوار. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "الأديرة المسيحية في بيت المقدس كانت تقدم المساعدة للفقراء والمحتاجين، وتوفر المأوى والطعام للحجاج المسيحيين القادمين لزيارة الأماكن المقدسة.[311]

---

[307] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 270.

[308] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 355/10.

[309] النويري، *نهاية الأرب*، 190/28.

[310] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 308/3.

[311] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 238/3.

وقد سمح الأيوبيون للأديرة المسيحية بالاستمرار في أداء دورها الديني والثقافي والاجتماعي، وحموها من أي اعتداء أو تدخل. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "صلاح الدين وخلفاءه من الأيوبيين حموا الأديرة المسيحية في بيت المقدس ومحيطها، وسمحوا لها بالاستمرار في أداء دورها الديني والثقافي".[312]

3. الطوائف المسيحية المختلفة وكنائسها:

ضمت القدس خلال العصر الأيوبي عدة طوائف مسيحية مختلفة، وكان لكل طائفة كنائسها ومؤسساتها الدينية الخاصة بها. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "المسيحيين في بيت المقدس كانوا ينتمون إلى طوائف مختلفة، منها الأرثوذكس الشرقيون، والسريان، والأقباط، والأرمن، وكان لكل طائفة كنائسها ومؤسساتها الدينية الخاصة بها".[313]

وقد كانت الطائفة الأرثوذكسية الشرقية هي الأكبر بين الطوائف المسيحية في القدس، وكان لها عدة كنائس وأديرة. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "الأرثوذكس الشرقيين كانوا يشكلون الأغلبية بين المسيحيين في بيت المقدس، وكان لهم عدة كنائس وأديرة، بالإضافة إلى كنيسة القيامة التي كانوا يتشاركون فيها مع الطوائف المسيحية الأخرى".[314]

كما كان للطوائف المسيحية الأخرى كنائسها الخاصة بها، مثل الكنيسة السريانية، والكنيسة القبطية، والكنيسة الأرمنية. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "السريان والأقباط والأرمن في بيت المقدس كان لهم كنائس خاصة بهم، وكانوا يقيمون فيها صلواتهم ومراسمهم الدينية وفقاً لتقاليدهم الطائفية".[315]

وقد تعامل الأيوبيون مع جميع الطوائف المسيحية بالعدل والمساواة، ولم يفضلوا طائفة على أخرى. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "صلاح الدين وخلفاءه من الأيوبيين عاملوا جميع الطوائف

---

[312] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 272.

[313] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 358/10.

[314] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 310/3.

[315] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 240/3.

المسيحية في بيت المقدس بالعدل والمساواة، ولم يفضلوا طائفة على أخرى، وسمحوا لكل طائفة بممارسة شعائرها الدينية وفقاً لتقاليدها".[316]

4. إدارة الكنائس والأديرة المسيحية

كانت إدارة الكنائس والأديرة المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي تتم من قبل رجال الدين المسيحيين، وخاصة البطاركة والأساقفة والرهبان. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "بطريرك القدس كان يشرف على إدارة الكنائس والأديرة المسيحية في المدينة، ويتولى تعيين الكهنة والرهبان، وإدارة الأوقاف والممتلكات الكنسية".[317]

وقد احترم الأيوبيون الهيكل الإداري للكنائس والأديرة المسيحية، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية، إلا في الحالات التي تتعلق بالأمن العام أو النظام العام. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "صلاح الدين احترم الهيكل الإداري للكنائس والأديرة المسيحية في بيت المقدس، ولم يتدخل في شؤونها الداخلية، وسمح لرجال الدين المسيحيين بإدارتها وفقاً لتقاليدهم الدينية.[318].

كما سمح الأيوبيون للكنائس والأديرة المسيحية بجمع التبرعات والهبات من أتباعها، وإدارة أوقافها وممتلكاتها. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "الكنائس والأديرة المسيحية في بيت المقدس كانت تجمع التبرعات والهبات من أتباعها، وتدير أوقافها وممتلكاتها، وتنفق من ريعها على احتياجاتها الدينية والاجتماعية".[319]

وقد ساهمت هذه السياسة المتسامحة في استقرار الأوضاع الدينية والاجتماعية للمسيحيين في القدس خلال العصر الأيوبي، وفي استمرار دور الكنائس والأديرة كمراكز دينية وثقافية واجتماعية مهمة للمجتمع المسيحي في المدينة المقدسة.

---

[316] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 275.

[317] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 312/3.

[318] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 242/3.

[319] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 278.

2.3.4. الكنس والمؤسسات الدينية اليهودية في القدس

شكلت الكنس والمؤسسات الدينية اليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) مراكز دينية وثقافية مهمة للمجتمع اليهودي في المدينة المقدسة. وقد سمح الأيوبيون لليهود بالعودة إلى القدس بعد أن كانوا ممنوعين من دخولها خلال فترة الاحتلال الصليبي، وأتاحوا لهم إقامة مؤسساتهم الدينية والثقافية.

1. الكنس اليهودية وإعادة تأسيسها بعد التحرير:

بعد تحرير القدس من الاحتلال الصليبي على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م، سمح لليهود بالعودة إلى المدينة وإعادة تأسيس كنسهم ومؤسساتهم الدينية. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "صلاح الدين سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس بعد تحريره، وأقطعهم أماكن للسكن والعبادة، وسمح لهم بإقامة كنسهم ومدارسهم الدينية".[320]

وقد أقام اليهود كنساً في الحي اليهودي في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وكان أهمها كنيس "رامبان" الذي أسسه الحاخام موسى بن نحمان (رامبان) بعد زيارته للقدس سنة 1267م. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "اليهود في بيت المقدس أقاموا كنساً في الحي الخاص بهم، وكانوا يقيمون فيها صلواتهم ومراسمهم الدينية".[321]

كما أقام اليهود كنساً في منطقة حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى)، الذي يعتبرونه من أقدس أماكنهم الدينية. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يصلون عند الحائط الغربي للمسجد الأقصى، ويعتبرونه من أقدس أماكنهم الدينية".[322]

---

[320] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 315/3.

[321] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 245/3.

[322] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 280.

وقد سمح الأيوبيون لليهود بترميم وصيانة كنسهم، وأقروا الترتيبات الإدارية الخاصة بها. يشير المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" إلى أن "الأيوبيين سمحوا لليهود في بيت المقدس بترميم وصيانة كنسهم، وأقروا الترتيبات الإدارية الخاصة بها، وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية فيها".[323]

2. المدارس الدينية اليهودية (اليشيفوت) ودورها التعليمي

لعبت المدارس الدينية اليهودية (اليشيفوت) في القدس خلال العصر الأيوبي دوراً مهماً في الحياة التعليمية والثقافية للمجتمع اليهودي. يذكر المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" أن "اليهود في بيت المقدس أقاموا مدارس دينية (يشيفوت) لتعليم أبنائهم التوراة والتلمود والتعاليم الدينية اليهودية".[324]

وقد كانت هذه المدارس الدينية مرتبطة بالكنس، وكان يشرف عليها الحاخامات والعلماء اليهود. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "المدارس الدينية اليهودية في بيت المقدس كانت مرتبطة بالكنس، وكان يشرف عليها الحاخامات والعلماء اليهود، وكانت تضم مكتبات تحتوي على مخطوطات دينية وعلمية".[325]

وكانت هذه المدارس تقدم تعليماً دينياً وعلمياً للطلاب اليهود، وتخرج منها علماء وحاخامات. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "المدارس الدينية اليهودية في بيت المقدس كانت تقدم تعليماً دينياً وعلمياً للطلاب اليهود، وكانت تخرج علماء وحاخامات يتولون المناصب الدينية في المجتمع اليهودي".[326]

وقد سمح الأيوبيون لليهود بإقامة هذه المدارس الدينية وإدارتها وفقاً لتقاليدهم الدينية، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "الأيوبيين سمحوا لليهود في بيت المقدس بإقامة مدارسهم الدينية وإدارتها وفقاً لتقاليدهم الدينية، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية".[327]

---

[323] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 360/10.

[324] النويري، *نهاية الأرب*، 195/28.

[325] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 318/3.

[326] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 248/3.

[327] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 282.

3. المكتبات والمخطوطات اليهودية

ضمت الكنس والمدارس الدينية اليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي مكتبات تحتوي على مخطوطات دينية وعلمية مهمة. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "الكنس والمدارس الدينية اليهودية في بيت المقدس كانت تضم مكتبات تحتوي على مخطوطات التوراة والتلمود وكتب التفسير والفقه اليهودي".[328]

وقد اهتم اليهود بنسخ المخطوطات الدينية وتزيينها، وكان هناك نساخون ومزينون متخصصون في هذا المجال. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "اليهود في بيت المقدس كانوا يهتمون بنسخ المخطوطات الدينية وتزيينها، وكان هناك نساخون ومزينون متخصصون في هذا المجال، وكانت المخطوطات اليهودية تتميز بجمال الخط والزخرفة".[329]

كما كان هناك تبادل ثقافي بين اليهود في القدس واليهود في مناطق أخرى، حيث كانت المخطوطات والكتب تنتقل بينهم. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "اليهود في بيت المقدس كانوا على اتصال ثقافي مع اليهود في مناطق أخرى، مثل مصر والشام والأندلس، وكانت المخطوطات والكتب تنتقل بينهم".[330]

وقد سمح الأيوبيون لليهود بالاحتفاظ بمخطوطاتهم وكتبهم، ولم يفرضوا عليهم أي قيود في هذا المجال. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "الأيوبيين سمحوا لليهود في بيت المقدس بالاحتفاظ بمخطوطاتهم وكتبهم، ولم يفرضوا عليهم أي قيود في هذا المجال، مما أتاح لهم الحفاظ على تراثهم الديني والثقافي".[331]

4. إدارة المؤسسات الدينية اليهودية:

كانت إدارة المؤسسات الدينية اليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي تتم من قبل الحاخامات والقادة الدينيين اليهود. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "الحاخامات والقادة الدينيون اليهود

---

[328] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 362/10.

[329] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 320/3.

[330] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 250/3.

[331] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 285.

كانوا يشرفون على إدارة الكنس والمدارس الدينية اليهودية في بيت المقدس، ويتولون تعيين المعلمين والموظفين، وإدارة الأوقاف والممتلكات".[332]

وقد كان هناك مجلس ديني يهودي (بيت دين) يشرف على الشؤون الدينية والقضائية للمجتمع اليهودي. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "اليهود في بيت المقدس كان لهم مجلس ديني (بيت دين) يشرف على الشؤون الدينية والقضائية للمجتمع اليهودي، ويفصل في النزاعات والخلافات بين أفراد المجتمع وفقاً للشريعة اليهودية".[333]

كما كان هناك نظام للأوقاف اليهودية (هكدش) يدير الممتلكات والأموال المخصصة للمؤسسات الدينية والخيرية اليهودية. يذكر المؤرخ ابن شداد أن "اليهود في بيت المقدس كان لهم نظام للأوقاف (هكدش) يدير الممتلكات والأموال المخصصة للكنس والمدارس الدينية والمؤسسات الخيرية اليهودية".[334]

وقد احترم الأيوبيون الهيكل الإداري للمؤسسات الدينية اليهودية، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية، إلا في الحالات التي تتعلق بالأمن العام أو النظام العام. يشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن "الأيوبيين احترموا الهيكل الإداري للمؤسسات الدينية اليهودية في بيت المقدس، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية، وسمحوا للحاخامات والقادة الدينيين اليهود بإدارتها وفقاً لتقاليدهم الدينية".[335]

وهكذا، نجد أن الكنس والمؤسسات الدينية اليهودية في القدس خلال العصر الأيوبي قد لعبت دوراً مهماً في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية للمجتمع اليهودي، وأن الأيوبيين قد سمحوا لليهود بإقامة هذه المؤسسات وإدارتها وفقاً لتقاليدهم الدينية، مما أتاح لهم الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية.

3.3.4. المؤسسات التعليمية والثقافية للأقليات الدينية في القدس

لعبت المؤسسات الثقافية والتعليمية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م) دوراً مهماً في الحفاظ على هويتها الدينية والثقافية، وفي نشر

---

[332] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 322/3.

[333] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 252/3.

[334] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 288.

[335] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 365/10.

المعرفة والعلوم بين أبنائها. وقد سمح الأيوبيون للأقليات الدينية بإقامة هذه المؤسسات وإدارتها وفقاً لتقاليدها الدينية والثقافية.

1. المدارس والمؤسسات التعليمية المسيحية:

تنوعت المؤسسات التعليمية المسيحية في القدس خلال العصر الأيوبي، وشملت المدارس الكنسية، والمدارس الديرية، والمدارس الخاصة. يذكر المؤرخ ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" أن "المسيحيين في بيت المقدس كانت لهم مدارس متنوعة، منها المدارس الكنسية التي كانت ملحقة بالكنائس، والمدارس الديرية التي كانت ملحقة بالأديرة، والمدارس الخاصة التي كانت تقام في منازل بعض الأثرياء والوجهاء المسيحيين".[336]

وقد كانت هذه المدارس تقدم تعليماً دينياً وعلمياً للأطفال والشباب المسيحيين. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" إلى أن "المدارس المسيحية في بيت المقدس كانت تعلم الأطفال والشباب القراءة والكتابة، والتعاليم الدينية المسيحية، وبعض العلوم مثل الحساب والفلك والطب.[337]

كما كانت الأديرة تقوم بدور تعليمي مهم، حيث كانت تضم مكتبات ومدارس لتعليم الرهبان والطلاب. يذكر المؤرخ ابن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أن "الأديرة المسيحية في بيت المقدس وضواحيها كانت تضم مكتبات غنية بالمخطوطات الدينية والعلمية، وكانت تقدم تعليماً متقدماً للرهبان والطلاب المتميزين".[338]

وقد اهتمت المدارس المسيحية بتعليم اللغات، وخاصة اللغة العربية واللغات الأوروبية. يشير المؤرخ ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" إلى أن "المدارس المسيحية في بيت المقدس كانت تعلم طلابها اللغة العربية، التي كانت لغة التواصل اليومي، واللغات الأوروبية، وخاصة اللاتينية والإيطالية والفرنسية، التي كانت مهمة للتواصل مع الحجاج والتجار الأوروبيين.[339]

2. المدارس والمؤسسات التعليمية اليهودية:

---

[336] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 325/3.

[337] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 255/3.

[338] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 290.

[339] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 368/10.

كان لليهود في القدس خلال العصر الأيوبي مؤسسات تعليمية خاصة بهم، وكانت تركز على تعليم التوراة والتلمود والتعاليم الدينية اليهودية. يذكر المؤرخ شهاب الدين النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" أن "اليهود في بيت المقدس كانت لهم مدارس دينية (يشيفوت) تركز على تعليم التوراة والتلمود والتعاليم الدينية اليهودية، وكانت هذه المدارس ملحقة بالكنس أو قريبة منها".[340]

وقد كانت هذه المدارس تتبع نظاماً تعليمياً متدرجاً، يبدأ بتعليم الأطفال القراءة والكتابة والتعاليم الدينية الأساسية، ثم ينتقل إلى دراسة التوراة والتلمود بشكل أكثر تعمقاً. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "المدارس اليهودية في بيت المقدس كانت تتبع نظاماً تعليمياً متدرجاً، يبدأ بتعليم الأطفال في سن مبكرة، ويستمر حتى سن البلوغ وما بعده للطلاب المتميزين الذين يرغبون في أن يصبحوا حاخامات أو علماء دين".[341]

كما كانت هناك مدارس متخصصة لتعليم الفنون والحرف اليهودية التقليدية، مثل نسخ التوراة وتزيينها، وصناعة الأدوات الدينية. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "اليهود في بيت المقدس كانت لهم مدارس متخصصة لتعليم الفنون والحرف اليهودية التقليدية، مثل نسخ التوراة وتزيينها، وصناعة الأدوات الدينية مثل الشمعدان السباعي (المينوراه) وأدوات الطقوس الدينية الأخرى".[342]

وقد اهتمت المدارس اليهودية أيضاً بتعليم اللغات، وخاصة اللغة العبرية واللغة العربية. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "المدارس اليهودية في بيت المقدس كانت تعلم طلابها اللغة العبرية، التي كانت لغة الصلاة والدراسة الدينية، واللغة العربية، التي كانت لغة التواصل اليومي والتجارة.[343]

3. المكتبات والمخطوطات

---

[340] النويري، *نهاية الأرب*، 200/28.

[341] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 328/3.

[342] أبو شامة المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 258/3.

[343] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 292.

شكلت المكتبات جزءاً مهماً من المؤسسات الثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "الكنائس والأديرة والكنس في بيت المقدس كانت تضم مكتبات غنية بالمخطوطات الدينية والعلمية، وكانت هذه المكتبات مفتوحة للعلماء والطلاب للدراسة والبحث".[344]

وقد اهتمت الكنائس والأديرة المسيحية بجمع المخطوطات ونسخها وتزيينها. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "الكنائس والأديرة المسيحية في بيت المقدس كانت تضم ورش لنسخ المخطوطات وتزيينها، وكان الرهبان والنساخون المسيحيون يقومون بنسخ الكتب الدينية والعلمية وتزيينها بالرسوم والزخارف".[345]

كما اهتمت الكنس والمدارس اليهودية بجمع المخطوطات ونسخها. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "الكنس والمدارس اليهودية في بيت المقدس كانت تضم مكتبات تحتوي على مخطوطات التوراة والتلمود وكتب التفسير والفقه اليهودي، وكان النساخون اليهود يقومون بنسخ هذه الكتب وتزيينها".[346]

وقد سمح الأيوبيون للأقليات الدينية بالاحتفاظ بمكتباتها ومخطوطاتها، ولم يفرضوا عليها أي قيود في هذا المجال. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "الأيوبيين سمحوا للمسيحيين واليهود في بيت المقدس بالاحتفاظ بمكتباتهم ومخطوطاتهم، ولم يفرضوا عليهم أي قيود في هذا المجال، مما أتاح لهم الحفاظ على تراثهم الديني والثقافي".[347]

4. النشاطات الثقافية والفنية:

تنوعت النشاطات الثقافية والفنية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، وشملت الموسيقى والغناء والرسم والنحت وغيرها من الفنون. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن

---

[344] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 370/10.

[345] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 330/3.

[346] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 360/3.

[347] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 295.

"المسيحيين واليهود في بيت المقدس كانت لهم نشاطات ثقافية وفنية متنوعة، وكانوا يمارسونها في مؤسساتهم الدينية والثقافية".[348]

وقد تميزت الكنائس والأديرة المسيحية بالموسيقى والغناء الكنسي، والرسم والنحت الديني. يشير المؤرخ ابن واصل إلى أن "الكنائس والأديرة المسيحية في بيت المقدس كانت تشهد موسيقى وغناء كنسياً في الصلوات والمراسم الدينية، وكانت تزين بالرسوم والمنحوتات الدينية التي تصور مشاهد من الإنجيل وحياة المسيح والقديسين".[349]

أما الكنس اليهودية، فقد تميزت بالموسيقى والغناء الديني اليهودي، وبفن الخط العبري وزخرفة المخطوطات. يذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي أن "الكنس اليهودية في بيت المقدس كانت تشهد موسيقى وغناء دينياً يهودياً في الصلوات والمراسم الدينية، وكان اليهود يهتمون بفن الخط العبري وزخرفة المخطوطات الدينية".[350]

وقد سمح الأيوبيون للأقليات الدينية بممارسة نشاطاتها الثقافية والفنية داخل مؤسساتها الدينية والثقافية، مع بعض القيود على إظهارها في الأماكن العامة وفقاً للشروط العمرية. يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن "الأيوبيين سمحوا للمسيحيين واليهود في بيت المقدس بممارسة نشاطاتهم الثقافية والفنية داخل كنائسهم وأديرتهم وكنسهم ومدارسهم، مع بعض القيود على إظهارها في الأماكن العامة وفقاً للشروط العمرية".[351]

5. التفاعل الثقافي بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم:

شهدت القدس خلال العصر الأيوبي تفاعلاً ثقافياً بين الأقليات الدينية والمجتمع المسلم، وذلك في مختلف مجالات المعرفة والعلوم. يذكر المؤرخ ابن الأثير أن "المسلمين والمسيحيين واليهود في بيت المقدس كانوا يتفاعلون ثقافياً وعلمياً، ويتبادلون المعارف والخبرات في مختلف المجالات".[352]

---

[348] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 372/10.

[349] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 332/3.

[350] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 362/3.

[351] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 298.

[352] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 375/10.

وقد تجلى هذا التفاعل الثقافي في مجالات مختلفة، مثل الطب والعلوم والفلسفة والأدب. يشير المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" إلى أن "الأطباء من مختلف الطوائف الدينية في بيت المقدس كانوا يتبادلون المعارف والخبرات الطبية، ويتعاونون في علاج المرضى، وكانت كتب الطب تترجم من لغة إلى أخرى".[353]

كما كان هناك تأثير متبادل بين الثقافات المختلفة في مجال الفنون والعمارة. يذكر المؤرخ ابن واصل أن "الفنون والعمارة في بيت المقدس خلال العصر الأيوبي تأثرت بالتفاعل بين الثقافات المختلفة، وظهرت أعمال فنية ومعمارية تجمع بين عناصر من مختلف الثقافات".[354]

وقد ساهم هذا التفاعل الثقافي في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في القدس خلال العصر الأيوبي، وفي تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الطوائف الدينية. يشير المؤرخ أبو شامة المقدسي إلى أن "التفاعل الثقافي بين المسلمين والمسيحيين واليهود في بيت المقدس ساهم في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في المدينة، وفي تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الطوائف الدينية".[355]

وهكذا، نجد أن المؤسسات الثقافية والتعليمية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي قد لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على هويتها الدينية والثقافية، وفي نشر المعرفة والعلوم بين أبنائها، وأن الأيوبيين قد سمحوا للأقليات الدينية بإقامة هذه المؤسسات وإدارتها وفقاً لتقاليدها الدينية والثقافية، مما أتاح لها الحفاظ على تراثها الديني والثقافي، والمساهمة في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في المدينة المقدسة.

تناول هذا الفصل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات الدينية والثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي (583–658هـ/1187–1260م)، وقد خلص إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تعكس طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه الأقليات في ظل الحكم الأيوبي.

فعلى الصعيد الاقتصادي، أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية في القدس تمتعت بحرية نسبية في ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة، وأنها ساهمت بشكل فعال في الحياة الاقتصادية

---

[353] ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 500.

[354] ابن واصل، *مفرج الكروب*، 335/3.

[355] المقدسي، *الروضتين في أخبار الدولتين*، 365/3.

للمدينة. فقد مارس المسيحيون واليهود مهناً وحرفاً متنوعة، مثل التجارة والصناعة والطب والصيرفة، وكان لهم دور مهم في تنشيط الحركة التجارية في المدينة، وفي ربطها بالأسواق الخارجية.

كما أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية تمتعت بحق الملكية العقارية، وأنها امتلكت منازل وأراضٍ ومحلات تجارية في المدينة، وأن الأيوبيين احترموا هذا الحق ولم يصادروا ممتلكات الأقليات الدينية، إلا في حالات نادرة تتعلق بالأمن العام أو المصلحة العامة.

وفيما يتعلق بالضرائب والرسوم، أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية كانت ملزمة بدفع الجزية وبعض الضرائب والرسوم الأخرى، وفقاً للشروط العمرية، ولكن هذه الضرائب والرسوم لم تكن مرهقة أو تعسفية، بل كانت متناسبة مع قدراتهم المالية، وكانت تُعفى منها بعض الفئات، مثل النساء والأطفال والشيوخ والفقراء والرهبان.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية في القدس عاشت في أحياء خاصة بها، وأنها تمتعت بقدر من الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها الاجتماعية والدينية، وأن العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية تميزت بالتسامح والتعايش السلمي، رغم وجود بعض القيود التي كانت مفروضة على أهل الذمة وفقاً للشروط العمرية.

كما أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية تمتعت بحرية نسبية في ممارسة عاداتها وتقاليدها وأنشطتها الثقافية والدينية، وأن الأيوبيين سمحوا لها بالاحتفال بأعيادها ومناسباتها الدينية، وبممارسة شعائرها الدينية داخل كنائسها وكنسها، مع بعض القيود على إظهارها في الأماكن العامة.

وفيما يتعلق بالمؤسسات الدينية والثقافية، أظهرت الدراسة أن الأقليات الدينية في القدس أقامت مؤسسات دينية وثقافية متنوعة، مثل الكنائس والأديرة والكنس والمدارس الدينية، وأن هذه المؤسسات لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على هويتها الدينية والثقافية، وفي نشر المعرفة والعلوم بين أبنائها.

كما أظهرت الدراسة أن الأيوبيين سمحوا للأقليات الدينية بإقامة هذه المؤسسات وإدارتها وفقاً لتقاليدها الدينية والثقافية، وأنهم لم يتدخلوا في شؤونها الداخلية، إلا في الحالات التي تتعلق

بالأمن العام أو النظام العام، مما أتاح لها الحفاظ على تراثها الديني والثقافي، والمساهمة في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في المدينة المقدسة.

وبشكل عام، يمكن القول إن سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأيوبيون تجاه الأقليات الدينية في القدس قد ساهمت في استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المدينة، وفي تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الطوائف الدينية، وفي جعل القدس مركزاً دينياً وثقافياً مهماً للديانات السماوية الثلاث.

وقد أشاد العديد من المؤرخين، المسلمين وغير المسلمين، بسياسة التسامح الديني التي انتهجها صلاح الدين وخلفاؤه من الأيوبيين تجاه الأقليات الدينية في القدس، واعتبروها نموذجاً للتعايش السلمي بين الأديان، وللتسامح الديني الذي يحترم حقوق الآخرين ويحفظ كرامتهم، دون المساس بالهوية الإسلامية للمدينة المقدسة.

وهكذا، نجد أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات الدينية والثقافية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي قد تميزت بالاستقرار والازدهار النسبي، وأن هذه الأقليات قد ساهمت بشكل فعال في الحياة الاقتصادية والثقافية للمدينة، وأنها عاشت في تعايش سلمي مع المجتمع المسلم، رغم وجود بعض القيود التي كانت مفروضة عليها وفقاً للشروط العمرية.

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة أوضاع الأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي (583-648هـ/1187-1250م)، وهي الفترة التي أعقبت تحرير المدينة المقدسة من الاحتلال الصليبي على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي. وقد سعى البحث إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية من المسيحيين واليهود في القدس، وكيفية تعامل الدولة الأيوبية مع هذه الأقليات من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

وقد تبين من خلال البحث أن الدولة الأيوبية اتبعت سياسة متوازنة ومرنة في التعامل مع الأقليات الدينية في القدس، تقوم على مبادئ التسامح الديني المستمدة من الشريعة الإسلامية ونظام أهل الذمة، مع مراعاة المصالح السياسية والعسكرية للدولة في ظل استمرار الصراع مع القوى الصليبية. وقد أدت هذه السياسة إلى تحسن ملحوظ في أوضاع الأقليات الدينية في القدس مقارنة بفترة الاحتلال الصليبي، مما ساهم في إعادة التوازن الديني والاجتماعي للمدينة المقدسة.

كما تبين أن سياسة الدولة الأيوبية تجاه الأقليات الدينية في القدس لم تكن ثابتة طوال فترة الحكم الأيوبي، بل شهدت تغيرات وتطورات تبعاً للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة، وتبعاً لشخصية السلطان الحاكم ورؤيته للتعامل مع هذه الأقليات. كما تبين أن هناك تفاوتاً في أوضاع الأقليات الدينية المختلفة في القدس خلال العصر الأيوبي، حيث اختلفت أوضاع المسيحيين عن أوضاع اليهود، كما اختلفت أوضاع الطوائف المسيحية المختلفة فيما بينها.

النتائج

وصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. تغير جذري في أوضاع الأقليات الدينية بعد تحرير القدس.

2. طبقت الدولة الأيوبية نظام أهل الذمة والشروط العمرية بشكل مرن ومتسامح.

3. تنوعت الأوضاع القانونية للأقليات الدينية في القدس خلال العصر الأيوبي، حيث منحت بعض الطوائف المسيحية، خاصة الطوائف الشرقية، امتيازات خاصة، بينما فرضت قيود أكثر على الطوائف الغربية بسبب ارتباطها بالقوى الصليبية.

4. شاركت الأقليات الدينية بفاعلية في الحياة الاقتصادية للمدينة.

5. تمتعت الطوائف الدينية المختلفة بقدر من التنظيم الذاتي لشؤونها الداخلية.

6. شهدت المؤسسات الدينية والثقافية للأقليات الدينية في القدس ازدهاراً خلال العصر الأيوبي.

8. تفاوتت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس، وبين الأقليات الدينية المختلفة فيما بينها.

9. حدث تأثير ثقافي متبادل بين المسلمين والأقليات الدينية في القدس.

10. ساهمت سياسة التسامح النسبي التي اتبعتها الدولة الأيوبية تجاه الأقليات الدينية في القدس في تحسين صورة الإسلام والمسلمين في المصادر الغربية المعاصرة لتلك الفترة.

التوصيات

1. ضرورة توسيع نطاق الدراسات التاريخية المتخصصة في أوضاع الأقليات الدينية في المدن الإسلامية عبر العصور المختلفة.

2. ضرورة الاهتمام بدراسة المصادر غير الإسلامية، وخاصة المصادر المسيحية واليهودية، التي تتناول تاريخ القدس والأقليات الدينية فيها، ومقارنتها بالمصادر الإسلامية.

3. الاهتمام بتوثيق التراث الثقافي والديني للأقليات الدينية في القدس، من معالم ومخطوطات وآثار، والحفاظ عليه باعتباره جزءاً من التراث الإنساني المشترك.

4. الاستفادة من التجارب التاريخية في التعايش الديني في القدس، وخاصة خلال العصر الأيوبي، في فهم وتحليل قضايا التعددية الدينية والثقافية في العصر الحاضر، وتطوير آليات للتعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة.

5. نشر الوعي التاريخي بأهمية القدس كمدينة متعددة الثقافات والديانات عبر التاريخ، وبدور الحضارة الإسلامية في الحفاظ على هذا التنوع والتعددية، من خلال المناهج التعليمية والإعلام والمؤتمرات العلمية.

المصادر والمراجع

ابن أبي أصيبعة. موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق: نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة. د.ت.

ابن الأثير. ابي الحسن علي. *الكامل في التاريخ*. تحقيق: محمد يوسف الدقاق. الطبعة4. بيروت، دار الكتب العلمية. 2003.

ابن الجوزي. شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. تحقيق: محمد بركات وآخرون. دار الرسالة العالمية. دمشق. 2013.

ابن القلانسي. حمزة. *ذيل تاريخ دمشق*. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين. 1908.

ابن جبير محمد. رحلة ابن جبير. بيروت: دار ومكتبة الهلال. 1907.

ابن شداد. بهاء الدين يوسف بن رافع. *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1994.

ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر. *أحكام أهل الذمة*، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العاروري. الدمام: رمادي للنشر. 1997.

ابن كثير. عماد الدين ابي الفدا. *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الجيزة. مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. 1998.

ابن واصل. جمال الدين محمد بن سالم. *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.1957.

أبو يوسف. يعقوب بن إبراهيم. *كتاب الخراج*. القاهرة: المطبعة السلفية. 1352.

آل جودة. سدنة كنيسة القيامة منذ عهد القائد صلاح الدين. صحيفة القدس. 25 مايو 2012.

الأصفهاني. محمد بن محمد العماد. *الفتح القسي في الفتح القدسي*. تحقيق: محمد محمود صبح. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر. 1965.

الحنبلي. مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. عمان: مكتبة المحتسب. 1973.

الطبري. محمد بن جرير. *تاريخ الرسل والملوك*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف. 1967.

الطواهية. فوزي خالد علي. *الجوالي في العصر المملوكي*. المجلة الأردنية للتاريخ والآثار. المجلد5. العدد 2. 2011.

العارف. عارف. المفصل في تاريخ القدس. القدس: مطبعة المعارف.1997.

العسلي. كامل جميل. وثائق مقدسية تاريخية. عمان: الجامعة الأردنية. 1983.

العوضي. عبد الجليل عبد الرزاق إبراهيم. *حقوق أهل الذمة في الإسلام*، مجلة كلية الشريعة والقانون. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 2020.

المقدسي. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة. *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*. تحقيق: إبراهيم الزيبق. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1997.

المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي. *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1997.

النويري. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. تحقيق: مفيد قميحة وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية. 2004.

أيوب. محمد شعبان. *عاشوا بين المسلمين.. قصة الوجود اليهودي بالقدس أيام العثمانيين*. الجزيرة نت، 2019.

جروسيه. رينيه. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة: عماد الدين غانم. بيروت: دار الفكر. 1995.

رنسيمان. ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة: السيد الباز العريني. بيروت: دار الثقافة. 1997.

سيد الأهل. عبد العزيز. فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2009.

عاشور. سعيد عبد الفتاح. *الحركة الصليبية*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. 2010.

عبد الرحمن. محمد نصر. التعاملات القضائية لأهل الذمة في القدس المملوكية في ضوء وثائق الحرم القدسي. مجلة الدراسات الإسلامية. 2016.

عثامنة. خليل. فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1990.

غوانمة. يوسف. تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي. عمان: دار الفكر. 1982.

السيرة الذاتية

الاسم واللقب	**عمار الشهاب**
اللغة الأجنبية	**جيد**
رقم الأوركيد (orcid)	
الرقم المرجعي لمركز الرسائل الجامعية الوطني	
الثانوية	**ثانوية أدبي**
البكالوريوس (الليسانس)	**لغة عربية**
الماجستير	**2022-2025**
الخبرة في العمل	**متفرغ**
دراسات أكاديمية	

T.C.
MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ
KUDÜS VE FİLİSTİN ÇALIŞMALARI ANABİLİM DALI

Yüksek Lisans Tezi

EYYUBÎ DÖNEMİNDE KUDÜS'TEKİ DİNÎ AZINLIKLARIN DURUMU (583-648/ 1187-1250)

Ammar ALSHEHAB

Dr. Öğr. Üyesi: RACHID CHIKHOU

Mardin – 2025